

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن  
والاه وبعد :

فهذا هو المجلد الثالث من كلمة مولانا الإمام الرائد/ محمد زكي الدين  
إبراهيم - رحمته الله وأرضاه - وهي نفحة ربانية ، وهبة إلهية ، ومنحة قدوسية ،  
جاءت من فيض المدد والنور على قلب مولانا الإمام رحمته الله ، لتصدر في دنيا  
الناس مجلة المسلم ، مجلة التصوف النقي السلفي الراشد ، ولتكون في عالم  
الغيب صحائف من نور في سجلات الإمام رحمته الله ، فكم أفادت علماء ، وكم  
خرجت دعاة صادقين أتقياء ، وكم رشدت كثيرًا من الهوج والهوس الذي  
تشبث به مدعو التصوف ، وكم صدت حملة مسعورة غار بها على أهل الحق  
أعداء التصوف ، فكانت ميزانا للحق ولسانا للحكمة ، في زمن احتمى فيه  
الناس واعتصموا بالجبن أو التهور ، وكلا الأمرين وبيء مذموم .

وقد حاول أبناء الإمام رحمته الله وهم ثمرة جهاده ، وجنى زرعه ، أن يوفوا  
بنذر يسير مما في أعناقهم تجاه شيخهم - وهو كثير وفير - فعملوا على تجريد  
هذه الكلمة الخالدة من مجلة المسلم ، وإخراجها على هذه الصورة في  
مجلدات مستقلة ، وهم على استحياء شديد يقدمونها هدية للإمام الرائد  
في الذكرى السابعة لانتقاله الشريف .

وقد قام الأخ/ أشرف سعد محمود ، من أبناء العشيرة المحمدية ، بإعداد هذا المجلد والذي قبله من حيث المقابلة والمراجعة والتصحيح اللغوي . . . إلخ ، فالله سبحانه هو الموفق والمستعان أن يعينه ويوفقه لإتمام هذا العمل على الوجه الأكمل إن شاء الله تعالى ، وأن يعين أبناء وشباب أمانة الدعوة على إخراج تراث الإمام الرائد بالصورة اللائقة به إن شاء الله تعالى ؛ فهو سبحانه وتعالى حسيينا نعم المولى ونعم النصير ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله ، ورضي الله عن إمامنا زكي الدين إبراهيم .

أمانه الدعوة

## مسائل وإجابات<sup>(١)</sup>

### السنة الخامسة عشرة للمسلم:

بهذا العدد، تستقبل مجلة «المسلم» عامها الخامس عشر، قوية مؤيدة، فتية مجدة، تكافح وتنافح، وتدعو إلى الله على بصيرة، سليمة العقيدة، وسطاً بين الإفراط والتفريط، لا تقلد في شأن، ولا تجامل في حق، ولا تقف مواقف العبيد من أبواب السادة، ولا تتملق إلا الله الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو القاهر فوق عباده.

ولا تقدم للناس إلا ما يمس حياتهم، وما لا يجدونه عند غيرها من صحفهم ومجلاتهم، فلا يحس قارئها أن بها حشواً أو لغواً، ولا أنها تكتب ملء الفراغ، ولا أنها تنشر لمجرد الاسم اللامع، أو لشهرة القلم، إنما هي رسالة ودعوة، ومبدأ ومذهب، وإيمان وعمل لوجه الله أولاً وآخرًا.

ومع هذا فنحن لا ندعي العصمة فيما نذهب إليه، ولا نبخس الناس أشياءهم التي اختاروها لأنفسهم، ما لم يكن لدينا عليها من الله برهان قاطع، ولا ننافس أحداً فيما استحسن أن يضطلع به، ولا نحسده على ما آتاه الله من فضله؛ فإننا طلاب حقيقة، ورواد كمال، ثم إننا نعتقد أن لدعوتنا هذه يوماً لا بدَّ آتٍ إن لم يكن اليوم فغداً - بإذن الله - ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتْ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الرعد: ١٧].

اللهم ربنا لك الحمد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال عبداً، وكلنا لك

(١) مقال غرة شعبان (١٣٨٤هـ) ٥ ديسمبر، (١٩٦٤م)، العدد الأول السنة الخامسة عشرة.

عبدٌ، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا راد لما قضيت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، لربي الحمد، لربي الحمد.

اللهم واجز عنا كل من أسهم في معاونتنا وتأييدنا - ماديًا أو أدبيًا - بما أنت أهله، وما هو أهله؛ فإنه لا يكون الفضل إلا منك يا رب العالمين، اللهم وتجاوز عن سيئاتنا، ولا تعاملنا بما نستوجه، وخذ بنواصينا إلى ما فيه رضاك، وأيدنا بسلطانك القاهر، واكتب لنا التوفيق والعزة والسداد... آمين.

### دين الحب، ومحبي الدين:

نبدأ إجاباتنا اليوم بهذه الكليّات، على ما يزال يجتره بعضهم، من السفاهة على محبي الدين، وإخراجه من الملة؛ جهلاً وحمافة، وضيق أفق، وضحولة فقه، قال محبي الدين:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحب	إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة	فديّر لرهبان، ومرعى لغزلان
ومعبد نيران، وكعبة طائف	وألواح تورا، ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت	ركائبه؛ فالحب ديني وإيماني

وفي توضيح هذا القول، يقول أحد شيوخنا العارفين: إن محبي الدين يقول: «لما انكشف لي أن المشيئة الكاملة، والحكمة المطلقة، التي اقتضت هذه الكائنات، وكشف لي عن السر في وجودها، قبل قلبي كل صورة من حيث إن ذلك عين الحكمة الإلهية، والطبيب لو قطع عضواً من صديق لك فإنك راض عن عمل الطبيب في ذلك، وتراه حسناً، وإن كنت كارهاً لنفس القطع، وهذا راجع للرضا عن الله عز وجل في كل شيء،

واستخلاص المعنى الحق في كل شيء، فهو متسع القلب لكل شيء يراه بعين الحق، لا بالعين التي افشت بها الناس» ١. هـ.

وفي هذا الكلام الإيجابي مقنع، لمن شاء، ومع هذا فنحن نرى في هذه الأبيات تقريراً لحقيقة قرآنية ثابتة؛ فقد نظر ابن عربي إلى الخفايا والأبعاد والأعماق، فوجد أن حقيقة أديان الله كلها واحدة، وأن أصول جميع الرسالات تلتقي عند نقطة ارتكاز لا تتعدها، شأن الراسخين في العلم.

فجميع رسالات السماء متفقة على أصول لا تتغير ذواتها، وإن كانت قد تتغير صورها على مقتضى مطالب الأزمان، ومستويات الفهم والمقاصد.

فالتوحيد، والعبادة، والفضائل، والخير، والإيمان بالجزاء، هي الأصول الخمسة التي قامت عليها جميع الأديان، وهي الحقائق التي تنقلت على ألسنة كافة الرسل، وانتقلت معهم من أرض إلى أرض، ومن زمان إلى زمان.

وهذه الحقائق، هي معاني الإسلام، الذي هو روح كل الأديان ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، من قبل ومن بعد.

ولا يتم إيمان العبد حتى يؤمن بكل دين سابق من عند الله:

﴿أَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ويقول الله تعالى: ﴿لَيْكِن الرَّاْسُخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [النساء: ١٦٢]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ

وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ ﴿ [النساء: ١٦٣] ، وقال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾ [الشورى: ١٣] ،

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة: ١٦١] وقال تعالى : ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة: آية ١٣٦] .

ومن ثمَّ كان دينُ الله واحدًا - كما قلنا - في أصله ، وإن اختلفت صورته ، ودينُ الله هو الإسلام ، ولا غير الإسلام ، سابقًا ولاحقًا .

فمثلاً نوحٌ يقول : ﴿ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢] . ويقول إبراهيم : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٣] ، ويقول أيضاً : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨] ، وبلغ القرآنُ عن يعقوب : ﴿ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣] ، وهذا يوسفُ يقولُ كما قال جدُّه إبراهيمُ : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١] ، وهؤلاءُ همُ سحرةُ فرعونَ يقولون : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧] ، وهؤلاءُ همُ حواريو عيسى يقولون : ﴿ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَا

**مُسَلِّمُونَ** ﴿آل عمران: ٥٢﴾، وهذا رسولنا الخاتم ﷺ يقول: **﴿وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** [يونس: ٧٢].

فهذه الحقائق القرآنية كلها هي التي نظر إليها ابن عربي حين قال: إِنَّ قَلْبَهُ أَصْبَحَ قَابِلًا كُلَّ صُورَةٍ، أَمَا أَنْ هَذِهِ الصُّورَ قَدْ مُسَخَّتْ وَشَوَّهَهَا أَهْلُوهَا، وَخَرَجُوا بِهَا عَنِ الْأَصْلِ الْمُؤَصَّلِ فِيهَا، فَذَلِكَ مَا لَا يَعْنِي «مَحْيِي الدِّين»، وَهُوَ لَا يُوَاخِذُ بِهِ، فَلَيْسَ لَهُ يَدٌ فِيهِ، وَإِنَّمَا هُوَ قَدْ نَظَرَ إِلَى الْأَصْلِ فَتَحَدَّثَ عَنْ مُسْتَوَاهُ، وَنَامَ مَلَأَ جَفْوَنَهُ عَنْ شَوَارِدِهَا، رَحِمَهُ اللَّهُ.

### عقيدة محيي الدين:

منذُ شهورٍ كان قد زار القاهرة أحد أفاضل علماء لبنان، وكان لفضيلته كتاب طيب عن قضية الإيمان، وكانت العشرة قد اهتمت بهذا الكتاب، وعقدت ندوة كريمة لمناقشته والدعوة إليه، ولم ينفرد بهذا فرد ولا هيئة سواها.

وفي زيارة فضيلته القاهرة، اتَّفَقَ أَنْ مَرَّ عَلَى دَارِي المتواضعة عَفْوًا، فِي طَرِيقِهِ لَزِيَارَةِ بَعْضِ مَشَاهِدِ الصَّالِحِينَ، فَتَرَكَ لِي بَطَاقَتَهُ !!

ثم جمعنا به مجلس في مكتب الأخ الأستاذ إبراهيم البطاوي، وكنتُ حريصًا على شهود هذا المجلس؛ لأشكر الأستاذ على بطاقته التي تركها لي!! وهناك دار نقاش أخذ فيه الضيفُ العالمُ على «محيي الدين» أنه في كتاب «الفتوحات» كتب عقيدته بعدة أساليب، سمى كلاً منها باسم طائفة، واتَّفَقَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي وَقْتِي سَعَةً، فَتَرَكَتُ السَّيِّدَ التَّجَانِّيَّ يَتَحَدَّثُ مَعَهُ فِي الْمَوْضُوعِ، وَلَا أَرْجُحُ أَنَّ السَّيِّدَ الضَّيِّفَ قَدْ اقْتَنَعَ.

وقد طافت بي هذه الذكرى بمناسبة الكتابة السابقة عن محيي الدين، فأردتُ أَنْ أَقَرَّرَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَسْبَابِ التَّرَامِ محيي الدين هذا السُّلُوكُ - فِي

تصوري - ما كان يجذّه من اختلاف بعضهم في شأنه، فأراد أن يسجل عقيدته واضحة بكل أسلوب اصطلاح عليه جماعة، حتى يكون قد خاطبهم جميعاً بلغتهم ليين لهم، وليأخذ عليهم سبيل المحاجة، وليقطع دابر التشكيك والتماس البلبلة في شأنه.

هذا من وجه، ثم من وجه آخر، يريد أن يقول لهم: إن الصوفي رجل على إحاطة ودراية وكفاية، وأنه حين يقول ما يقول: إنما يقوله بعد البحث والمقارنة، والترجيح، الذي يتفق مع كل لسان عربي، على قلب مسلم، فإذا ما لم يوافق قوله هوئى عند غيره، فليتمس غيره له عذر الاجتهاد، لا عذر الجهل، ولا عذر القصور.

ووجه ثالث: لعله يريد أن يقول: إنه قدّم هذه الحقيقة الواحدة، في تلك الألوان المتعددة؛ ليدل على أن هذه الحقيقة هي مركز الإيمان من دائرة الديانة، ولكل إنسان أن يصل إليها بأسلوبه وطريقته، التي لا تتنافى مع أصول الأوضاع ولا حدود القواعد، وإن الطرق إلى الله متعددة، مع أن الهدف واحد: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] وإن اختلاف هذه الطرق إلى الحقيقة الكبرى ضرورة لاستيفاء حاجات الاختلاف البشري في الأذواق والفهوم والوسائل والمقاصد، فما يتأثر به رجل قد لا يتأثر به آخر، وما يتذوقه إنسان ربما لا يتذوقه غيره، فهو لهذا نوع الأساليب حتى يسد الذرائع، ويعذر من الناس.

وأخيراً أجمل «محيي الدين» عقيدته التي بسطها بكل لسان وكل بيان، فقال:

سألي عن عقيدتي	أحسن الله ظني
يشهد الله أنها:	«شهد الله أنه»



أقول هذا ، وأستغفرُ الله لي ولعالم لبنان ولحبيي الدين ، وللمؤمنين والمؤمنات .

### عَوْدُ إِلَى الْوَسِيلَةِ وَالْوَسَاطَةِ :

في كلمتنا عن الوسيلة والوساطة ، في العدد الماضي من «المسلم» بيّنا أنَّ الوسيلة طلبٌ مباشرٌ من الله ، مع الاستشفاع ، وأمَّا الوساطة فهي طلبٌ من الوسيط من دون الله ، وضربنا لذلك الأمثال ، وقَدَّمنا البراهين .

وكأنَّ الأمر أشكل على بعض الإخوة والأبناء ، وذكروا قول عبد السلام بن مشيش : «لولا الوساطة لذهب - كما قيل - الموسوط» . وطلبوا بيانًا في الموضوع أكثر .

والذي في علمنا ، أنَّ هُنَاكَ وساطةً طَبِيعِيَّةً من نوايس الكون ، كوساطة الرُّوح الأمين في تبليغ الوحي ، ووساطة الأنبياء في تبليغ الرسالة ، ووساطة العلماء في بيان حُكْمِ الله ، ووساطة المختصين في كَشْفِ المخترعات . . . وهكذا .

ومن هذا النوع ، وساطة المرشد في الهداية ، ووساطة الأخ لأخيه في تحقيق مطالب العيش والحياة بصورةٍ أو بأخرى .

فهذه وما هو منها كُلُّها أسبابٌ ، لولا التماسُّها لذهب المسبَّبُ ضياعًا ؛ لأنها أشبهُ بالعلَّة في تحقيق المعلول ، وهو معنى القول السابق المنسوب إلى ابن مشيش .

ولما لم تَكُنْ هذه القاعدةُ - في ذاتها - عامةً . جاء ﷺ بصيغة التضعيف والتقليل ؛ فقال : «كما قيل» ، وهكذا لم يعد الاستشهادُ بهذه العبارة مبيِّنًا للمنطق أو العلم الذي قدَّمناه .

أما الاستشفاعُ أو الوسيلةُ ، فهو حقيقةٌ في أصول الإسلام ، قال تعالى

في الاستشفاع: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿خَلَفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فقرر تعالى أصل الشفاعة، ولكنه شرط فيها إذنه ورضاه، وهو شرط عام في كل ما هو لله؛ إذ لا يقع في ملكه تعالى شيء من غير إذنه. فهو من نوع التصريح بالمقرر الملحوظ، المتعين إدراكه، لمجرد التأكيد أو التذكير بالحقيقة الواقعة، لأهمية المقام.

وفي الوسيلة قال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، فتقرر أن الوسيلة شرع في الإسلام، لا سبيل إلى إنكاره بهذا النص، وإن اختلف الناس في صورتها من بعد، شأنها شأن الاستشفاع.

وهكذا نجد أن الوساطة شيء غير الشفاعة والوسيلة، فهي شيء ليس من الإسلام، وراجع بعد هذا ما سبق تقريره في العدد السابق.

ثم إن الشفاعة والوسيلة: تعني الزلفى والضراعة، فهي الطلب المباشر من الله، مع مزيد رجاء إليه في القبول باستصحاب ما يرجى ألا يرفض ولا يرد، فليس بين المتوسل وبين الله وسيط، فهو قريب يجب دعوة الداع إذا دعاه، على ما سبق في علمه سواء بوسيلة أو بغير وسيلة، ولا كذلك الوساطة الجاهلية التي يتوجه إليها المشركون من دون الله بالطلب والزلفى، فلا ابن مَشِيش ولا غيره من المسلمين قائل بالوساطة الجاهلية، ولا يجوز تحميل النص فوق احتماله المحدود.

### التزوير العلمي:

وقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، أو قوله: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ونحو هذه الآيات، وما في

معناها من الحديث الشريف كقوله ﷺ: «إذا استعنت فاستعن بالله». له مفاهيم أساسية لا تقبل الجدل: منها أن الدعاء والاستعانة يجوز أن يكون بوسيلة، وبغير وسيلة؛ لإطلاق الأمر في النص بالدعاء والاستعانة دون قيد معين، لا في الكتاب ولا في السنة كما قدمنا.

ومنها أن التحكم في الإلزام بالدعاء والاستعانة من غير وسيلة، نوع من التعصب لم يقم عليه دليل من هذه النصوص، ولا من غيرها؛ إذ الدليل مع غيره.

بل إن من أكبر أسباب الشقاق في هذه المسألة - وما هو منها أو نحوها - بين جمهور المسلمين، والمتسلفة والوهابية - الإصرار على هذا التزوير العلمي والإطلاقات المبهمة، والتعمية بالتهويل وقلب الحقائق.

ومن ذلك تسمية الأشياء بغير أسمائها، كما يسمون الزيارة عبادة، ويسمون التوسل شركاً، ويسمون سوء التعبير أو الفهم كُفراً... وهكذا.

ومن ذلك نقل الأحكام إلى غير مواضعها، فينقلون أحكام الحلال والحرام تعسفاً ومجازفةً، إلى أحكام الكفر والإيمان في مثل مسائل الزيارة والتوسل ونحوهما.

ومن ذلك مخاطرتهم بالمغالطة في سحبههم الآيات التي نزلت نصاً في الكافرين والمشركين والمنافقين، وتطبيقها على أهل القبلة، مع الفارق الأكبر من كل الوجوه؛ ليصلوا بالسفسطة إلى إخراجهم من دين الله بغير شرع ولا منطق، وليس ذلك إليهم، ولا إلى أحد أبداً، مهما كان شأنه، ولو أننا سمينا الأشياء بأسمائها، وبحثنا بروح العلم والإنصاف حُجج

الآخرين وحقائق أحوالهم ، وترفعنا على المجازفة والمهاترة لم يخرج موقفنا مع مسلم - مهما كانت مخالفته لغيره - عن حدّ النصّح أو العذر ، وكان من وراء ذلك جمع الشمل ، وتوحيد الصفّ ، والتفرغ لمواجهة ما هو أخطر وأنكر ، من مدمّرات الدّين والخلق التي تتجدّد وتزايد يوماً بعد يوم .

### حكم الدّين في الفروع:

وإذا تحدّثنا في أمر الوسيلة ، أو القبور - مثلاً - وهما الأمران اللذان تُقام الدنيا عليهما وتقعّد ، بلا أدنى دليل إلا التّمويه وإطلاق الأحكام ، والتهويل والإيهام ، والتعميات والمغالطات - فإننا إنما نتحدّث في أمر فرعيّ ، كما يسميه العلم المنصف ، وحسبك في الأمور الفرعية الدليل الظنيّ ؛ إذ إنّ القاعدة الأصولية تقرّر: أنّ كلّ ما انسحب عليه حكم الجواز والمنع ، فمحله الفروع ، والفروع محلّها الخطأ والصواب ، فحكمها الحلال والحرام ، فنقل هذا الحكم إلى الكفر والإيمان ، والشرك والتوحيد ، تليس وتدليس ، لا تعرفه الأصول العلمية ، ولا تعرفه أخلاق أهل العلم ، أو طلاب الحقيقة .

ثم إنّ الأمر الواحد ، قد يكون في نظر رجل صواباً بدليله ، وفي نظر آخر خطأ بدليله ، وكلاهما مقيّد بحجته ، والإنسان مختار شرعاً فيما تساوى فيه الدليلان ، وله أن يرجح ما يختار لنفسه ، دون تحكم فيمن سواه ، والمعاملة كلّها مع الله .

والمجتهد ملزم شرعاً بالتزام ما صحّ عنده ، حتى يتبين له ما يغير اعتقاده بيقين ، وليس في مقدّمات علوم الإسلام إكراه الناس على ترك ما اقتنعوا به إلى ما لم يقتنعوا به .

وقد وضع أبو حنيفة في هذا الجانب قاعدة الذهبية حين قال ما جملته :  
«إنني أعتقد أنني على صوابٍ قد يحمل الخطأ، وأنَّ غيري على خطأ قد  
يحمل الصواب» .

قلنا : وحسبُ امرئٍ أن يتحرَّى الأمرَ جهده ، قاصداً وجهَ الله ، ثمَّ بعد  
ذلك هو معذورٌ أمام مخالفيه بما ترجَّحَ عنده من حُجَّةٍ ، لو أنه خالفها ،  
رأى أنه عصى الله .

فلو أننا تعاوننا في المتفقِ عليه ، وتناصحنا مع العُذرِ فيما اختلفنا فيه ،  
ولاحظنا أنَّ هذا الاختلاف إنما هو بين مُسلمٍ ، ومُسلمٍ ، لا بين مُسلمٍ وكافرٍ  
أو مشركٍ ، لما تفرَّقَ شملنا ، ولا تفرَّقَ جمعنا ، فالخلافُ على الفروع لا يُسقطُ  
الإيمانَ ، ولا يُخرجُ من المروءة ، وإنما هو ضرورةٌ أساسيةٌ في الفطرة  
البشرية ، كما أنه نتيجةٌ حتميةٌ لما كان يحمله كُلُّ صحابيٍّ من عِلْمٍ مستقلٍّ ،  
ينشره ويبرِّره ، بالإضافة إلى حكم البيئة والوراثة وحجم التحصيل العلمي ،  
وكتافة الذوق والعاطفة ، وطاقاة الإدراك ... وغير ذلك .

ومن أجل هذا أبى الإمام مالكٌ على الخليفة العباسي أن يحمل النَّاسَ على  
«الموطأ» وحده ؛ لئلا تكون فتنةٌ ، ومواجهةٌ فاشلةٌ لِسُنَّةِ الله ، وللطبيعة البشرية :  
﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۚ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَفَهُمُ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] .

وقد اختلف الصحابةُ ، والنبيُّ ﷺ بينهم غيرَ مرةٍ ، وقصةُ صلاةِ العصرِ  
في بني قريظة معروفةٌ ، ثم اختلفوا من بعده ﷺ ، ولم يَزِمَ واحدٌ منهم  
واحداً بجهلٍ بالعلم ، ولا بكفرٍ بالله .

**ليس في المسلمين مُشركٌ :**

وقد دأبت الجماعة التي يُلدُّ لها أن تتاجر من أجل الدنيا، برمي أهل القبلة بالشرك جُزأً واعتباطاً؛ من أجل خطأ ارتكبه، أو من أجل استمساكهم بوجه معين من وجهين في مسألة خلافية فرعية، لرجحان دليل هذا الوجه عندهم .

دأب هؤلاء النَّاسُ، عندما تدمعُهم حُجَّةٌ مخالفيهم، أن يستشهدوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، يريدون أن مخالفيهم من أهل القبلة كُفَّارٌ، وإنَّ عَمِلُوا عملَ المؤمنين، وبهذا يستحلُّون دماءَهُمْ وأموالَهُمْ وأعراضَهُمْ، ويعتبرون ديارَهُمْ ديارَ حربٍ، كديارِ اليهودِ والمجوسِ سواءً بسواءٍ، وتلك هي العقيدة الأساسية الأولى في الدعوة الوهابية والسلفية، وما هو منها علواً وسفلاً، وإن اختلفت الأسماء، فيتسنى لهم بذلك تحقيق أغراضهم السياسية الهابطة .

على أن الآية ليست في جانبهم؛ فالمراد -والعلمُ لله - أنهم إمَّا منافقون يُظهرون الإيمانَ، ويخفون الإشراكَ، وإمَّا أنهم يجمعون مع الإيمان بالله، إيمانَهُمْ بأوثانِهِمْ؛ تلفيقاً بين الأمرين، وانتفاعاً في رأيهم بالناحيتين، وقد أقرُّوا بهذا في قولهم لمعبوداتهم: ﴿إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٨]، وليس كذلك أحدٌ من المسلمين، فتطبق هذه الآية عليهم عبثٌ جاهليٌّ، وميراثٌ من موارِيثِ الخوارج والباطنية؛ الذين كانوا يحرفون الكلمَ عن مواضعِهِ من أجل خدمة السياسة تحت ستار الدين .

وقد وقع اتفاقُ الأمة على أن المسلم إذا عمل عملاً يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهًا، ثمَّ هو يحتمل الإيمان من وجه واحد، وجب الأخذُ

بهذا الوجه الإيمانيّ وحده، وإسقاط اعتبار بقية الوجوه .

ولو كان الأمر كما يزعمون ، ما دخل الجنة أحدٌ سواهم ، وهذا نوعٌ عجيبٌ من الفهم السّاقط ، بل هو تحكُّمٌ في إرادة الله ، يُنادي بفراغ العقول والقلوب .

### الآخطار الكبرى:

ولقد يضحكُ المرءُ ملءَ شِدْقَيْهِ أسفًا وحرنًا، من هؤلاء الذين يشعلونها نارًا حاميةً لا هوادة فيها من أجل الخلاف على مثل مكان وضع السّواك، أهو على الأذن أم في الفم، أم يُغرسُ في كور العمامة، أم يُحملُ في الجيب؟ وهل يقال للميت: المرحومُ فلان، أم فلانُ رحمه الله؟ وهل تجفيفُ اليد بعد الغسل قبل الأكل جائز أم حرام؟ وهل يجوزُ غسلُ اليد بعد الأكل أم يكفي لعقُّها، أو مسحها في باطنِ القدم؟ وهل يجوزُ الشُّرب واقفًا أم يكفُرُ فاعلهُ... إلى آخر هذه الترهات المخجلات الفاضحة، التي يتنزّه عن الخوض فيها زنوجُ المجاهل والمتاهات .

وقد نسي هؤلاء أنّ بين يديّ المسلمين من الآخطار الكبرى، والفواجع المتجددة، المجمع على هولها، ما يكفي لاستغراق كلّ ما في الأمة من وقتٍ وجهدٍ في سبيلِ مواجهتها ومكافحتها، والاستماتة أمامها للحفاظ على بقية الكيان الإسلاميّ المهدد؛ فليس الإسلامُ حياةً وعمامةً ومسبحةً، إنّ الإسلام هو العالمُ والحياةُ .

فتلك هي فتنُ التبشير والاستشراق والاستعمار والشيوعية، وتلك هي محنةُ الأخلاق المنحلة والفضائل المهذورة والدعارة الطاغية، وتلك هي مشاكلُ اللادينية والإلحاد والشذوذ والزندقة، وتلك هي أنماطُ المحرمات والبدع والمنكرات المتفق على وجوب جهادها والقضاء عليها، مع ما

يتفرَّعُ عَنْ ذَلِكَ كُلُّهُ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ ، أَوْ يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ كَثِيرٌ كَثِيرٌ ، لَا يَوْشِكُ أَنْ يَحُدَّهُ حَدٌّ قَرِيبٌ .

فَمِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ ، وَأَحْرَمِ الْحَرَامِ ، أَنْ يُتْرَكَ كِفَاحُ ذَلِكَ كُلِّهِ ، لِاسْتِفْرَاحِ الْوَقْتِ فِي «اللَّتِّ وَالْعَجَنِ الْفَارِغِ» حَوْلَ الْفُرْعِيَّاتِ الَّتِي يَتَعَلَّقُهَا الصَّالِحُونَ وَالْمُقْبِلُونَ عَلَى اللَّهِ ، عَلَى خَطئِهِمْ أَوْ صَوَابِهِمْ ، وَهِيَ إِنْ لَمْ تَكُنْ طَاعَةً مُتَقَبَّلَةً ، فَلَنْ تَخْرُجَ عَنْ حَدِّ اللَّيْمِ الْمَغْفُورِ بِإِذْنِ اللَّهِ .

حَسْبُنَا مِنَ الرَّجُلِ أَنْ يُؤْمِنَ ، وَأَنْ يَتَنَزَّهَ عَنِ الْمُجْمَعِ عَلَى إِنْكَارِهِ ، وَأَنْ يَأْخُذَ فِي طَلَبِ الْكَمَالِ ، فَلَا نَقْفُ بِأَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ نَصْدُ رَوَاذِهَا وَنَرْمِيهِمْ بِالْعِظَائِمِ ، وَنَدْعُ الْمَوَاحِيرَ ، وَالْمَفَاسِقَ وَالْمَلَاهِيَّ وَالْمَصَافِيَّ الشَّهْوَانِيَّةَ وَالصَّحَافَةَ الْجَنْسِيَّةَ ، وَالْأَغَانِيَّ وَالتَّمْثِيلِيَّاتِ وَالْمَسْرَحِيَّاتِ الْوَبَائِيَّةَ الْمُنْحَرِفَةَ ، كَأَنَّا تَتَفَاعَلُ مَعَ الْمَرِيخِ ، ذَلِكَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى سِرْطَانِ الضُّهْيُونِيَّةِ وَأَمْرَاضِ الْعُرُوبَةِ ، وَمَتَاعِ الْمُسْلِمِينَ الْمُدْمَرَةِ .

### حَوْلَ الصَّلَاةِ فِي الْإِسْلَامِ :

تَلَقِينَا مِنَ الْأَخِ الْفَاضِلِ الْأُسْتَاذِ سَلِيمَانَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ صَاحِبِ مَكْتَبَةِ «الشُّرُوقِ» بِكُوسْتَنِي بِالسُّودَانِ ، يَسْأَلُنَا عَنْ رَجُلٍ يَقُولُ : إِنَّ هُنَاكَ صَلَاةً تَقْلِيدِيَّةً ، هِيَ الَّتِي يَصَلِّيُهَا الْجُمْهُورُ ، وَصَلَاةً حَقِيقِيَّةً ، هِيَ الَّتِي يَصَلِّيُهَا الْخَوَاصُّ ، فَإِذَا وَصَلَ الْإِنْسَانُ إِلَى مَرْتَبَةِ الصَّلَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ ، سَقَطَتْ عَنْهُ الصَّلَاةُ التَّقْلِيدِيَّةُ . ١ . هـ .

وَالْجَوَابُ : أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ بَقِيَّةِ مَذْهَبِ الْبَاطِنِيَّةِ الْبَائِدِ ، يَرِيدُونَ بِهِ صَدَّ الْمُسْلِمِينَ عَنْ أَكْبَرِ رُكْنٍ فِي دِينِهِمْ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ ، وَمَنْ قَالَ بِهِ مَعْتَقِدًا ؛ كَفَرَ بِالْإِجْمَاعِ .



وهو كلامٌ لم يُقَلْ به عالمٌ ، ولا عارفٌ من المسلمين ، وإنما هو من موارِيثِ الزنادقة ، يقول به بعضُهم تمويهًا وتضليلًا ؛ ليستحلَّ ما حرَّم الله ، أو ليصلَّ إلى غَرَضٍ خبيثٍ في هدمِ الإسلام .

فنحذِرُ المسلمينَ منهم ، ومن أمثالهم ، الذين يزعمون زورًا وبهتانًا أنهم يُصَلُّونَ في الكعبةِ أو بيتِ المقدس ، وينتسبون كذبًا وضلالًا إلى التَّصَوُّفِ الإسلاميِّ .

ونحن نقول لهم : إن كنتم تُصَلُّونَ هناك بالروح والجسد ، فهذا هو جسدُكم نراه هنا لم يبرح مكانه ، وبذلك كذبتُم ، وإن كنتم تُصَلُّونَ هناك بالروح فقط ، فصلاةُ الأرواح لا تسقطُ بها الفريضة ؛ لأنَّ الفريضة متعلقةٌ بالجسد والروح معًا .

والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ [النساء : ١٠٣] .

والنبي ﷺ يقول : بين الرجل وبين الكفر - وبين الشرك - تركُ الصلاة ، حانا الله بفضلِهِ .

### تاريخ حساب الجمل :

نقل ابنُ إسحاقٍ عن ابنِ عباس ، وجابر بن عبد الله ، أنَّ أبا ياسر بن أخطب ، مرَّ برسولِ الله ﷺ وهو يتلو فاتحةَ البقرة : ﴿ اَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ١٠١] .

فأتى أخاه حُيَّيَّ بنَ أخطب في رجال من يهود ، فقال : تعلموا ، والله لقد سمعتُ محمدًا يتلو فيما أنزلَ عليه ﴿ اَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُبُ ؟ ﴾ فقالوا : أنت سمعته؟ فقال : نعم . فمشى حُيَّيُّ بنُ أخطب ، في أولئك النَّفَرِ مِنْ يهود ، إلى رسولِ الله ﷺ

فقالوا له : يا محمد ، ألم تذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل عليك ﴿المر﴾ . فقال رسول الله ﷺ : بلى . قالوا : أجاؤك بها جبريل من عند الله ؟ . فقال : نعم . قالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء ، ما نعلمه بين لواحد منهم ما مدة ملكه ، وما أكل أمته غيرك .

فقام حبي بن أخطب ، وأقبل على من معه ، فقال لهم : «الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة ، أفتدخلون في دين إنما مدة ملكه ، وأكل أمته إحدى وسبعون سنة» ؟

ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم . قال : ماذا ؟ قال : ﴿المص﴾ . فقال : هذه أثقل وأطول : الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون والصاد تسعون ، فهي إحدى وستون ومائة سنة .

وكذلك فعل في : ﴿المر﴾ ، ثم قاموا فقال أبو ياسر : ما يدريكم ، لعله قد جمع هذا كله لمحمد ، فتلك سبعائة وأربع وثلاثون سنة<sup>(١)</sup> قالوا ، وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ [آل عمران : ٧] .

قال السهيلي : وهذا القول من أخبار اليهود ، وما تأولوه من معاني هذه الحروف محتمل - حتى الآن - أن يكون من بعض ما دلت عليه الحروف المقطعة ؛ فإن رسول الله ﷺ لم يكذبهم فيما قالوا من ذلك ، ولا صدقهم ،

(١) كان الإنصاف أن يجمع اليهود جمل أعداد كل الحروف المقطعة في القرآن سواء كررت أم لم تكرر ، وقد يكون هذا أقرب بعض الشيء من الحقيقة التي لا يعلمها إلا الله وحده .

وقد قال في حديث آخر : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله ورسوله » .

قلنا : وهذا الأثر أقدم ما نعلمه عن تاريخ أعداد الجُمَّل ، ولا ندري من الذي ابتكره بالضبط ، ولا عَمَّنْ أخذوه ، من طريق علميٍّ معتمد ، فإذا كان مِنْ علم اليهود خاصةً ، فليس كُلُّ ما عند اليهود حراماً ، وهم قد حادثوا رسولَ الله ﷺ بعلمهم هذا فلم ينكره عليهم كما أنكر عليهم أشياءً أخرى ، ومن هنا لا نرى بأساً أبداً بأن يَتَنَفَّعَ المسلمون بهذا العلم إن كان فيه ما ينفع ، لا على أنه تنزيلٌ مقدسٌ ، ولكنْ على أَنَّهُ كغيره لوْنٌ من المعارف الكونية ، ربما كان في بعض مجرباته خيراً أو متعةً ذهنيةً محبةً .

على أَنَّ أعداد الجُمَّل تختلفُ بين المشاركة والمغاربة ، فالمشاركة يرتبونها على التوالي «أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سغفص ، قرشت ، ثخذ ، ضطغ» ؛ فيقال واحد ، اثنين ... إلى عشرة ، ثم يقال : عشرة ، عشرون ... إلى مائة ، ثم يقال : مائة ، مائتان ... إلى ألف ، بترتيب هذه الأبجدية على التوالي .

أما المغاربة فإنهم يتفقون مع المشاركة في ترتيب الحروف من البداية ، ثم يخالفونهم بعد «كلمن» فيجعلونها «صغفص ، قرست ، ثخذ ، ظغش» .

ومن هنا تختلفُ القيمة العددية في كثير من الحالات بين المشاركة والمغاربة ، ولهذا الاختلاف أثره في النتيجة .

ولعلماء الحروف والأعداد وما يتعلق بها من الأوافق والعزائم والطلاسم والخواتم من المثلث إلى المئني أصول وقواعد ، وبحوث معينة

تتصل من بعض وجوهها بعلوم الفلك والهيئة والتنجيم والحساب ، وقد دخلها كثير من التحريف والتخريف والشعوذة ، التي لبست حَقَّها بباطلها ، وخلطت بين أصيلها ودخيلها ؛ فما يعقلها إلا العالمون .

وأولى أن ينصرفَ الناسُ عنها إلى الكتاب والسُّنة ، دستورًا وبركةً ، ففيهما ما يُغني عن كُلِّ ما عداهما ، واللهُ الحمد .

### (إِذْنٌ) بِالنُّونِ لَا بِالْأَلْفِ :

تعودتُ أن أكتبَ لفظَ «إِذْنٌ» بالنون لا بالالف - من صغري ؛ فرقًا بينها وبين «إِذَا» الظرفية ، وما كتبتها بالالف ، إلا في الامتحانات الرسمية ، لئلا أتهم بالجهل والخطأ ؛ جهلاً وخطأ ؛ وذلك لتنافي هذا الرسم مع ذوقي واجتهادي .

وقد جاءني أخيراً كتابٌ مِنْ أَخٍ لاحتَ هذه الملاحظة على كتاباتي في المجلة وكتاباتي الشخصية إليه .

وأطمئنُ الأخَ إلى أنَّ العلمَ معي فيما ذهبتُ إليه ؛ فإنَّ التنوينَ شيءٌ غيرُ التَّوْنِ الأصلية ، والتَّوْنُ في «إِذْنٌ» نونٌ أصليةٌ ، لا تنوينًا ، وقد شاعت كتابتها بالالفِ تقليدًا لرسم المصحف ، وبعضُ رسمِ المصحفِ خاصٌّ به ، ولا يُقاسُ عليه ، كما هو مقررٌ عند أهل العلم .

وفي حواشي «المغني» قال المبرِّدُ : أشتهي أن تُكوى يدُ من يكتبُ «إِذْنٌ» بالالف لأنها أصلية ، مثلُ نونٍ : أنْ ، ولنْ ، والتنوينُ لا يدخلُ الحروفَ ، فأَيُّ داعٍ إلى تشبيهها بالنونِ الزائدة عن بنية الكلمة ؟ ١ . هـ

وهذا درسٌ في الإملاء واللغة ، قليلٌ جليلٌ .

**في معية الله، لا معية الناس:**

اتصل بي في إحدى الليالي أستاذ من أجلاء شيوخنا وأعلياهم، وحدثني أن بعض الناس، لا يكادون يفهموننا، وقد بلغ بهم الجهل، أن زعموا أننا نناهض الصوفية والأزهر، وهذا هو منتهى الجهل بنا ومنتهى الغفلة عن دعوتنا، وهو مجرد تقليد لما يذيعه عنا بعض من تلهبهم سياط الحق من أقلامنا في الله، سواء كانوا متمصوفة أو متأهرين، وإذا لم نكن نحن الذين نكافح من أجل الصوفية، وننافح من أجل الأزهر، فمن؟ ومن؟ ثم من؟

راجعوا بروح الإنصاف والتقضي ما كتبنا من قبل، ثم لا تقلدوا، ولا تحكموا من غير محاكمة، ولا تنكروا الشمس في رابعة النهار، فتظلموا أنفسكم وتظلمونا معكم.

**من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليلة**

نعم إنما قد نقصوا أحياناً، ولكن لمصلحة التصوف والأزهر ليس إلا، وهذا كتابنا ينطق علينا وعليهم بالحق، والله من ورائنا ومن ورائهم محيط. قال أستاذنا: وهم من أجل هذا يُدبرون عنك، ويخشون الإقبال عليك، قلت:

لم يبق للناس اعتبار يُذكر	سيان عندي: أقبلوا أم أدبروا
لله قد وجهت وجهي موقفاً	أن التفاتني عنه شرك أكبر
إني أؤذي ما علي، وليس من	شأنني إذا هم سلموا أو أنكروا
والله يهدي أو يضل لحكمة	والأمر قبل مقدّر، ومقرر

فعلام يشغلني الذي مالي به      أيدٍ؟ وفيَم على الورى أتأثر؟  
فوضتُ كُلَّ الأمرِ لله الذي      بالقهرِ يبسطُ ما يشاء ويقدِرُ  
مَنْ فَوْضَ الأمرَ استراحَ، ومَنْ لَهُ      في الغيبِ شيءٌ سوفَ لا يتغيرُ  
لو كنتُ أنظرُ في الجهادِ إليهمو      لحزنتُ، لكنِّي لربي أنظرُ

توفيقًا وصبرًا وسدادًا يارب .

\*\*\*

## حول معالم القرآن<sup>(١)</sup>

### مقدمة:

في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، يخلو - أو يُستحسن أو يتعين - الكلام حول معالم القرآن ، وبخاصة فيما يقع فيه كثير من الناس بعلم أو بغير علم ، وفيما يجهله كثير من الناس بسبب أو بغير سبب ، وفيما لا بد أن يكون فيه تذكرة لمن يعلم أو تبصرة لمن لا يعلم !!

وفي هذا الحدّ المحدود كتبت هذه الفصول ، ولقد وددت لو اتسع وقتي واتسعت معه صحيفتي وصحتي ، فاستطعت أن ألطف حرارة العلم بنفحات العاطفة ، وأن أمزج بين البحث والترفيه ، ولكني لا أستطيع مجبراً ؛ فلا وقتي بما ينوء به من التزامات ، ولا صحيفتي بما يثقلها من مسؤوليات ، ولا صحتي بما أعاني من مرض ، مما يأذن لي باستيعاب ما أتمنى !! وإذن فليكن هذا المتن على علته هدية العشيرة إلى المسلمين في هذا الشهر المبارك ، مع الأمل في الله ، والمعذرة للإخوان .

### معنى احترام المصحف:

احترام المصحف نوعان متلازمان ، أحدهما احترام عاطفي ، والثاني احترام عملي ، فأما الناحية العاطفية فقد مثلها سيدنا عكرمة رضي الله عنه فإنه كان يقبل المصحف ؛ لأنه هدية الله إلى البشر ، ومن تعظيم الهدية ومهديها أن

(١) غرة رمضان (١٣٨٤هـ) - ٤ يناير (١٩٦٥م) ، العدد الثاني - السنة الخامسة عشرة .

تُقبَّل ، ولم يرد على فعل عكرمة - فيما علمنا - اعتراض من الصحابة ،  
وعنهم أخذنا الدين .

وعن الإمام أحمد في ذلك التقيل ثلاث روايات : الاستحباب ،  
والجواز ، والتوقف ، ولم يرد قول بالمنع أو الكراهة .

أمَّا الجانب العمليُّ ، فهو أساس الاحترام الصحيح ؛ فمن كان يحترِّمُ  
بحقِّ كتاب الله فليحلَّ حلاله ، وليحرم حرامه ، وليجعل قبلته وإمامه .

ومن أجل تلازم الجانب العاطفيِّ ، والجانب العمليِّ ، تراهم قد  
استحبُّوا إجماعاً تطيب المصحف ، ورفعهُ ، واتخاذ الكرسيِّ له ، وحرَّموا  
توسُّدهُ ، ومدَّ الرجل نحوه ، وتعليقه في حبلٍ أو نحوه ، ووضعهُ على  
الأرض ، أو وضع شيء فوقه ، أو العبث بأوراقه ، أو بسطه وطيه بغير  
اكتراث ... إلخ .

وقد اعتبر بعضهم أنَّ من امتهان المصحف ، جعلهُ سلعة يُباع  
ويُشترى ، وإنما هو عنده يُهدى ويُوهب ، وفي ذلك ما فيه من الحجر  
والحرج والتشديد .

والصواب عندنا ، اعتقاد أنَّ ثمن المصحف متوجهٌ إلى الورق ، والخبر ،  
والجلد ، والطباعة ، والصيانة ، والحمل ، والعرض ، والنسخ ، فلا مأخذ  
على ذلك قط ، وهو رأي بعض السلف كابن المسيب ، والحسن ، ومجاهد ،  
وهو الأرفق والأوفق .

ويحضرني هنا أثر قد يسُرُّ إخواننا الخطاطين .

فقد روى أبو نعيم في (التاريخ) ، وابن أشته في (المصاحف) من



طريق أبان عن أنس مرفوعاً ، قال ﷺ : «مَنْ كَتَبَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مجودة غفر الله له» .

ولعل هذا من أسباب ما نراه من ألوان الفن في كتابة البسملة بأنواع الخطوط المشهورة ، بأقلام مشاهير الخطاطين .

### الأوراق القرآنية الممزقة:

وكثيراً ما تسقط أو تيل أو تتمزق ورقة أو أوراق مصحف ، أو جزء من القرآن ، وقد قال الحنفِيُّون : إنه يُحفر لهذه الأوراق في الأرض وتُدفن ، ولكن اعترض على دفنها بتعرضها للوطء بالأقدام ، ولتسرب المياه المستقذرة إليها أو بنبشها ونحو ذلك .

وقال الحلبي : تُغسل الحروف حتى تنمحي . نقول : وذلك كان ممكناً أيام لم تكن المطابع وحبرها الثابت ، بل الحبر العادي أصبح ثابتاً ، لا ينمحي بالماء على أنه قد يقع ماء الغسل أو الورق المغسول على الأرض ، ويوطأ ويُمْتَهَن كذلك ، فتظل المشكلة قائمة .

والصواب أن تُحرق هذه الأوراق ، فذلك ما ارتضاه الصحابة حين أحرق عثمان رضي الله عنه كل المصاحف ، بعد أن رتب المصحف الإمام ، ولم يعترض عليه أحد ، وبعده أحرق مروان بن الحكم الأصول الأولى للمصحف ، من الأكتاف والخاف التي كان يُكتب عليها القرآن بمجرد نزوله ، وقد زاد بعض صوفية الشيوخ أن تُدفن مخلفات الحرق في جانب مأمون .

وكره النووي الحرق ؛ لما فيه من مظنة الاتمهان ، وهو مردودٌ بأنه سئ

صحابي راشد ، أقرته الأمة عليها ، بلا خلاف ، وهو خير وجه في الموضوع إذا دفن الرماد .

### التطريب وتحسين الصوت وشروطه :

التطريب وتحسين القرآن بالصوت الجميل ، أو تحسين الصوت بالقرآن سنة ثابتة مندوب إليها .

روى الدارمي : «حسنوا القرآن بأصواتكم ؛ فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً» .

وأخرج البزار وغيره : «حسن الصوت زينة القرآن» ، وعند ابن حبان : «زيّنوا القرآن بأصواتكم» .

وفي المتفق عليه بين البخاري ومسلم ، قال عليه السلام : «ما أذن الله لشيء ، ما أذن لنبي حسن الصوت ، يتغنّى بالقرآن يجهّز به» .

وقد ثبت أن النبي عليه السلام دخل مكة يوم الفتح ، يتغنّى بسورة الفتح يقول : (آ آ) . وقصة استماعه عليه السلام لابن مسعود ، وقوله : «لقد أوتي هذا مزامراً من مزامير آل داود» كل ذلك مشهور معروف .

وروى ابن ماجه قال عليه السلام : «الله أشدُّ أذنًا - يعني سماعًا - إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن ، من صاحب القينة - يعني المغنية - إلى قينته» .

وفي حديث أبي داود ، قال عليه السلام : «ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن» .

وروى البخاري والنسائي ، قال عليه السلام : «تعلموا القرآن ، واقتنّوه ، وتغنّوا به» ، وفي حديث أبي داود أيضًا قال عليه السلام : «تغنّوا به ، فمن لم يتغنّ به ،

فليس منّا»، وفيه أيضًا: «ليس منّا مَنْ لم يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»، وفي الباب أحاديثٌ شتى .

نقول: والتَّغَنَّى هو تحسينُ الصوتِ بالقرآن، بمقتضى منطوقِ هذه النصوصِ ومفهومها، وتأويلُ التغني هنا بمعنى الاستغناء أو نحوه، تكلفٌ شديدٌ لا دليلَ عليه، ونسبةُ هذا القولِ إلى بعض الأئمة لا تصح .

وهذا التحسينُ مشروطٌ بعدم الخروجِ عن الحدِّ المحدود عند علماء التجويد من أحكام التلاوة، وهذا ما حُمِلَ عليه نصُّ الشافعي في (المختصر)، بجواز القراءة (بالألحان)، والإجماعُ على أنَّ الخروجَ عن هذا الحدِّ حرامٌ يفسق به القارئ، ويأثم به المستمع، كما نقله السيوطي .

وفي حديث يزيد عن شريك: أربع تخوفهن النبي ﷺ على أمته، إحداهن: «قوم يتخذون القرآن مزامير، يقدمون أحدهم، ليس بأفقههم، ولا أفضلهم، إلا ليغنيهم به غناء» وهذا الحديث من أعلام النبوة حقًا .

وقد أخرج الطبرانيُّ والبيهقيُّ وآخرون: «اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الكتابين، وأهل الفسق، فإنه سيجيء أقوام يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم» ويوشك أن يكون هذا شائعًا في جمهور هذا العصر .

لكن إذا جمع القارئ بين أحكام التجويد، وجمال اللحن، وحسن الصوت فقد جمع الخير كله، وإلا فجرأة على كتاب الله، دونها الفسوق والعصيان .

### الانتقال من آية لآية في سورة جديدة:

أما أن يقرأ آيات مختارة ، من هذه السورة ثم يتركها ليقراً آيات أخرى من سورة أخرى ، من باب الإغراق في التلحين والتطريب ، فحرامٌ قولاً واحداً ؛ فليست آياتُ الله (طقاطيق) أو (منالوجات وتواشيح) !!

قال السُّيوطيُّ : أخرج أبو عُبَيْد عن سعيد بن المسيَّب أنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ ببلال وهو يقرأ من هذه السُّورة ، وهذه السُّورة ، فقال ﷺ : «يا بلال ، مررتُ بك ، وأنت تقرأ من هذه السُّورة ، ومن هذه السُّورة» . قال بلال : أخلط الطيب بالطيب فقال ﷺ : «أقرأ السورة على وجهها أو نحوها» . (مرسل صحيح) قلنا : وهو عند أبي داود موصولٌ عن أبي هريرة .

وأخرجه أبو عبيد من وجه آخر ، عن عمر - مولى عفرة - أنَّ النبي ﷺ قال لبلال : «إذا قرأت السُّورة فأنفذها» ؛ أي أتمها .

وقال حَدَّثَنَا معاذ ، عن ابن عوف ، قال : سألت ابن سيرين عن الرجل يقرأ من السورة آيتين ، ثم يدعها ، ويأخذ في غيرها ، قال : ليتق أحدُكم أن يَأْثُمَ إثْماً كبيراً ، وهو لا يشعر .

وقد نقل القاضي أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية ، آية ، من كل سورة ، قال ابنُ سيرين : «تأليف الله خير من تأليفكم» !!

نقول : ويُستثنى من ذلك ، مَنْ شاء أن يحصل به فضلاً أكثر ، كأن يجمع بين الآيات والصور التي ورد أن قراءتها تعدل نصف أو ربع أو ثلث القرآن ، أو أنها أنزلت من كنز تحت العرش ، أو أنَّ في قراءتها مزيد مزية ، لحالة خاصة ، وذلك لأنَّ ورودَ الترغيب فيها يعتبر استثناءً من المنع وحفزاً

على الممارسة ، كما يُستثنى ذلك للمرشد والواعظ الذي يجمع الآيات الواردة في المعنى الواحد ، ليستدل بها في الموضوع الذي يعالجه ، وفيما عدا ذلك ونحوه لا يجوز .

وعند ابن مسعود ، إذا أراد أن يتحول التالي من آية إلى آية في سورة أخرى فصل بينهما بقراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يختمها ، ثم يستفتح الآية الأخرى كما نقله صاحب (الإتقان) .

قلنا : والعلة أو الحكمة في ذلك لم تتضح لنا وهو اجتهاد شخصي لابن مسعود ، لا بد أن له حكمته وعلته ، وبخاصة أنه صحابي راوٍ ، وله مع القرآن ذكرٌ وتاريخ ومعاملة .

### ترديد الآية الواحدة :

ومن الملاحظ على كثير من القراء ، أنهم ربما ردّدوا الآية الواحدة عدة مرات ، فإذا كان هذا التردد للعبارة والاتعاظ والتذكير ، كان سنةً مستحبةً ؛ فقد روى النسائي وغيره ، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قام بآية يرددها حتى أصبح ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

أما إذا كان التردد لمجرد عرض طبقات الصوت ، ومقامات التلحين ، أو لمجرد عرض القراءات الواردة في الآية ؛ مفاخرةً بالمقدرة على الاستيعاب أو نحوه من غير نظر إلى معنى العظة والاعتبار ، فإنه حرامٌ قولاً واحداً ، لحديث الطبراني والبيهقي وآخرين : «فإنه سيجيء أقوام يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم ، وقلوب من يعجبهم شأنهم» .

فإذا جمع ترديد الآية بين الأصل في مشروعيتها، أعني الاعتبار والتذكير، مع معنى زائد عليه، كالتلحين الذي يزيد المعنى وضوحاً، ولا يخرج عن حدّ التجويد، أو التردد بقراءة تكشف مقصداً جديداً في تأويل الآية، أو توجه إلى وجه يؤكد المشروعية، فالمرجو ألا يكون بذلك بأس إن شاء الله .

### التكبير بين السور:

وقد أخرج البيهقي في (الشعب) وابن خزيمة، من طريق ابن أبي بزة موقوفاً ومرفوعاً، وأخرجه الحاكم مرفوعاً وصححه في المستدرک، وله طرق كثيرة قال: سمعتُ عكرمة بن سليمان، قال: قرأت على ابن عبد الله المكي، فلما بلغت (الضحى). قال: كَبُرَ حتى تختم؛ فإني قرأتُ على عبد الله بن كثير، فأمرني بذلك، وقال: قرأتُ على مجاهدٍ، فأمرني بذلك، وأخبر مجاهدٌ أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك، وأخبر ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك .

قال أبو العلاء الهمداني، رواية عن البرّيّ: أن الأصل في ذلك أن النبي ﷺ انقطع عنه الوحي، فقال المشركون (قل محمدًا ربُّه) فنزلت سورة الضُّحى، وفيها ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾: يعني ما هجر، فكَبَّرَ النبي ﷺ .

قال الحلّمي: وصفته، أن يقف بعد كل سورة وقفَةً، ويقول: (الله أكبر).

قال سليم الرازي: لا يصل آخر السورة بالتكبير، بل يفصل بينهما بسكتة، ثم اختلفوا: هل التكبير يعتبر لأول السورة أو لآخرها؟! قولان .

ثم هل يكون التكبير مجرداً؟ أو مسبوقاً بالتهليل؟! كلُّ جائزٍ على وجهٍ ورواية .

وعن موسى بن هارون ، قال الشَّافعيُّ : إن تركت التكبير ، فقدت سُنَّةً ، قال الحافظ ابن كثير : وهذا يقتضي أنَّ الحديث قد صح عنه .

وقد توسع بعضهم ، فأجاز التكبير من أول قِصارِ المفصل ؛ أي من الحُجرات على المشهور ، لأثرٍ واردٍ في هذا أو ذاك .

#### الاستحسان برفع الصوت :

وقد تعود كثيرٌ من الناس رفعَ أصواتهم بنحو : (الله الله) وألفاظٍ أخرى يوجهونها إلى القارئ تشجيعاً ، كلما أعجبتهم قراءته ، بحيث ينقلب هذا الاستحسان إلى نوع من التشويش والتهريج الكريه ، وخصوصاً في بيوت الله .

وفي الحديث الثابت : «جنبوا مساجدكم صبيانكم ، ومجانينكم ، وبيعكم وشراءكم ، ورفع أصواتكم» .

وثبت نهيهِ ﷺ عن تشويش البعض على البعض في المسجد ، ولو بقراءة القرآن ، قال ﷺ : للقارئ في المسجد : «ألا إنَّ كلَّكم مناجٍ لربه فلا يرفع بعضكم على بعضٍ بالقرآن» .

وقال تعالى : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ ، وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ ، وقال : ﴿وَيَحْزَنُونَ

لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠﴾ ، وقال : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ ، وقال : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ .

وفي الصحيحين من مرسل عبد الملك بن عمير ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : «إني قارئٌ عليكم سورة ، فَمَنْ بَكَى فَلَهُ الْجَنَّةُ ، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا ، فَتَبَاكُوا» .

وفي مسند أبي يعلى : «اقرأوا القرآن بالحزن ، فإنه نزل بالحزن» ، والمراد بالحزن الوقار والسكينة والأدب والتدبر ، والخوف من الله .

والوارد عن السلف ، أنهم كانوا إذا استمعوا إلى القرآن صمتوا ، كأنها على رءوسهم الطير فإذا انتهى القارئ قالوا : «أحسن» لورودها على لسان النبي ﷺ في حديث ابن جرير بإسناد صحيح . أو قالوا تقبل الله ، أو نحو ذلك .

نعم : إذا غلب الإنسان حال عند السماع فصرخ أو بكى أو هلّل ، كان معذورا بحاله ، وشأن أصحاب الأحوال الأدب مع الله ، فإذا خرجوا عن مألوفهم فَحَكَّمَهُمْ حَكْمُ الْمَضْطَرِينَ ! والمغلوب بالحال معذور ، والمرء أمين حاله .

### الاجتماع لختم القرآن :

وقد كان السلف - رضي الله عنهم - يهتمون بأمر ختم المصحف اهتماما بالغا ، وكانوا يجعلون له أوقاتا وأياما تختلف باختلاف الشتاء والصيف ، ويتداعون إليه في فرحة كبرى وفي سعود وبهجة ويقين .



أخرج ابن أبي داود عن مجاهد، قال: «كانوا يجتمعون عند ختم القرآن»، ويقولون: (عنده تنزل الرحمة).

وأخرج عن الحكم قال: أرسل إليّ مجاهدٌ، وعنده ابن أبي أمامة، وقالوا: أُرسلنا إليك، لأننا أردنا أن نختم القرآن، والدعاء يستحب عند ختم القرآن.

وأخرج عن جماعة من التابعين، أنه يُسن للقارئ صوم يوم الختم، وأن يُخَصِّرَ أهله وأصدقائه.

وأخرج الطبراني عن أنس أنه كان إذا ختم القرآن، جمع أهله ودعا.

ومن السنة ختم القرآن في كل شهر مرة، على ما رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود وغيرهم، وقد كان النبي ﷺ يختمه في رمضان مع جبريل.

وهذا كان من أسباب اجتماع الصوفيين، يقتسمون بينهم الرِّبَعة (يعني أجزاء المصحف) كل يتلو جزءاً أو أكثر، سواء استمع إليه الباكون أو انشغل كل منهم بالقراءة لنفسه، وذلك ليتم لهم فضل الختم في مجلسهم هذا، وهو مألوف في الأمة لم يعترض عليه أحد، قال النووي: ولا بأس باجتماع الجماعة في القراءة ولا بإدارتها، وهي أن يقرأ بعض الجماعة قطعة، ثم البعض قطعة غيرها.

قلنا: أما اجتماع الجماعة في القراءة على صوت واحد، فشرطه عندنا ضبط الوقف والابتداء، وتصحيح النطق، والمتابعة القلبية، فيما فاته من المتابعة اللسانية وله أدلة من تأمين الجماعة في الصلاة، وتكبير العيدين والتلبية في الحج ونحوه.

ومعنا حديث أبي داود في ثبوت استغفارهم بعد الصلاة في المسجد بصوت واحد .

### نزول الملائكة عند القراءة والسنة فيها :

روى البخاري عن أسيد بن حضير قال : «بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ إِذْ جَالَتْ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ فَقَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ فَسَكَتَ وَسَكَتَتْ الْفَرَسُ ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ فَأَنْصَرَفَ وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى مَا يَرَاهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ قَالَ فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَأَنْصَرَفْتُ إِلَيْهِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مِثْلُ الظِّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ فَخَرَجْتُ حَتَّى لَا أَرَاهَا . قَالَ : وَتَدْرِي مَا ذَاكَ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِمُصَوْتِكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى .

وفي رواية قال ﷺ : «تلك الملائكة تنزلت لقراءة القرآن ، أما إنك لو مضيت لرأيت الأعاجيب ، وفي رواية البراء قال : تلك السكينة تنزلت للقرآن» .

وقد رواه النسائي ، ويحيى بن بكر ، وغيرهما وقد اتفق نحوه لثابت ابن قيس .

وروى مسلم : «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» وحسبك حديث الملائكة السياحين يلتمسون مجالس الذكر .

ومن السنة أن يقول السامع للقارئ (ذَكَّرْنَا رَبَّنَا) يطلب منه القراءة ، فقد كان عمر إذا رأى أبا موسى قال له : (ذَكَّرْنَا رَبَّنَا) فيقرأ عنده ، ومن السنة أن يقول له : (أحسن) إذا انتهى .

ومن السنة أن يقول له (حسبك الآن) إذا أراد أن يسكته كما رواه الجماعة .

ومن السنة خشوع القارئ ؛ روى ابن ماجه قال ﷺ : «إِنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ الَّذِي إِذَا سَمِعْتُمُوهُ يَفْرَأُ حَسِبْتُمُوهُ يَخْشَى اللَّهَ» .

ومن السنة إذا نسي شيئاً من القرآن ألا يقول : نسيت ، بل يقول : أُنْسِيتُ أو نُسِيتُ ، كما رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وأبو داود ، والنسائي .

#### تعاهد القرآن :

روى النسائي وغيره قال ﷺ : «تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا - أو (تفلتا) أي : نسيا - مِنْ الْإِبْلِ فِي عَقْلِهَا» .

وروى أحمد وغيره ، قال ﷺ : «مَا مِنْ رَجُلٍ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهُ ، إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْذَمًا» أي مصابا بالجدام ، ولعله يعني ناقص الأجر ساقط الثواب .

وروى أبو عبيد قال ﷺ : «عُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي ، فَلَمْ أَرْ ذَنْبًا أَكْبَرَ مِنْ آيَةٍ أَوْ سُورَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، أَوْ تِيهَا رَجُلٌ فَنَسِيَهَا» وكذا رواه أبو يعلى والبزار وأبو داود والترمذي .

قال الضحاك بن مزاحم : «نسيانُ القرآن من أعظم المصائب» .

**فضل القرآن وأهله :**

روى أحمد قال عليه السلام : «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ اقْرَأْ وَاصْعَدْ فَيَقْرَأُ وَيَصْعَدُ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً حَتَّى يَقْرَأَ آخِرَ شَيْءٍ مَعَهُ» .

وروى أحمد قال عليه السلام : «إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ رَجُلًا فَاجِرًا جَرِيئًا يَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ لَا يَزْعُوِي إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ» .

وروى أحمد قال عليه السلام : «إِنَّ اللَّهَ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ فَقِيلَ : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»

وروى أحمد قال عليه السلام : «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَابْتَغُوا بِهِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقَدَحِ يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ» . يطلبون به الدنيا .

وروى البزار ، قال عليه السلام : «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ، مَنْ اتَّبَعَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ دَخَّ فِي قَفَاهُ إِلَى النَّارِ» .

وروى الطبراني بسنده عن الضحاک إلى ابن عباس قال عليه السلام : «أَشْرَافُ أُمَّتِي حَمَلَةُ الْقُرْآنِ» .

وكفى بكل ذلك فخرا لحملة القرآن ، العاملين به !!

وروى الطبراني : «سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ عليه السلام أَيَّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ عليه السلام : الْحَالُ الْمُرْتَحِلُ . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْحَالُ الْمُرْتَحِلُ؟ قَالَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَضْرِبُ فِي أَوَّلِهِ حَتَّى يَبْلُغَ آخِرَهُ ، وَيَضْرِبُ فِي آخِرِهِ حَتَّى يَبْلُغَ أَوَّلَهُ» .  
ولهذا استحبوا لمن يختم القرآن ، ألا ينتهي إلا بعد أن يقرأ الفاتحة .

وروى أحمد ، قال عليه السلام : «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتَلُّ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مِزْرَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تُقْرَأُهَا» .

وروى الطبراني ، قال عليه السلام : « مَنْ قرأ القرآن فكأنما استدرجت النبوة بين جنبه ، غير أنه لا يوحى إليه ، ومن قرأ القرآن فرأى أن أحداً أُعطي أفضل مما أُعطي ، فقد عظم ما صغر الله ، وصغر ما عظم الله » .

وروى أحمد قال عليه السلام : « مَنْ استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة » .

### مفاهيم القرآن وإشاراته :

ثبت في الأثر عن الإمام علي أنه سُئل عما إذا كان رسول الله عليه السلام قد خصه أو خص أهل البيت بعلم مستقل ، فقال عليه السلام : لا ، إلا علماً يؤتاه الله رجلاً من أحبائه ، في شيء من كتابه (أو كما قال) .

فدل على خصوصية القرآن وكثرة مفاهيمه ، وقد أخرج الديلمي مرفوعاً : « القرآن تحت العرش ، له ظهر وبطن يحاج العباد » .

وأخرج الطبراني وأبو يعلى والبخاري ، عن ابن مسعود (موقوفاً) : « إن هذا القرآن ليس منه حرف إلا له حد ، ولكل حد مطلع » .

وفي حديث الحسن عند الغرياني مرفوعاً : « لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ، ولكل حد مطلع » ، وكلها نصوص متعاونة على تأكيد هذا المعنى .

قالوا : والظاهر هو اللفظ والباطن هو التأويل أو هو الحكمة المستفادة أو هو السر الذي يُطلع الله عليه أهل الحقائق من الخواص .

والحد : هو المقدار أو المنتهى ، أو الحكم ، والمطلع : دليل يعرف به ويجازئ عليه .

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، قال : «إن القرآن ذو شجون وفنون ، وظهور ، وبطون» ولهذا أمر عليُّ العباس أن يحاج الخوارج بالسنة ، لأن القرآن حمال ذو وجوه (أو كما قال) .

وقال الشيخ ابن عطاء الله السكندري في (اللطائف) : اعلم أن تفسير هذه الطائفة (الصوفية) لكلام الله ورسوله ، بالمعاني الغريبة ، ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ، ودلت عليه في عرف اللسان ، وثُمَّ أفهامٌ باطنة تُفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه ، فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني أن يقول لك ذو جدل : هذا إحالة لكلام الله ورسوله ، وليس ذلك بإحالة ، وإنما يكون إحالة ، لو قالوا : لا معنى للآية إلا هذا . وهم لم يقولوا هذا ، بل يقرون الظواهر على ظواهرها ، مراداً بها موضوعاتها ويفهمون عن الله تعالى ما أفهمهم (انتهى) . نقول : فافهم تغنم .

### بسملة التوبة :

أخرج أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان ، قال ابن عباس : قلت لعثمان : ما حملكم على أن عمدتم إلى (الأنفال) وهي من المثاني ، وإلى (براءة) وهي من المئين ، فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر ( ووضعتموها في السبع الطوال؟! )

فقال عثمان : كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السورة ذات العدد ، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب ، فيقول : «ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وبين آية كذا وآية كذا» .

وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فَطُنَّتْ أنها منها ، فقبض رسول الله ﷺ «ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر (ﷺ) ووضعتهما في السبع الطوال» (انتهى) .

ولبعض العلماء تعليقات أخرى في الموضوع ، تعتبر فرعية على هذا التقرير الذي قرره عثمان ؓ .

فمن اعتبر القرآن (١١٣) سورة جعل الأنفال والتوبة سورة واحدة ، ومن اعتبره (١١٤) سورة جعل كلا منهما سورة منفردة ، واكتفى بالاستعاذة دون البسملة في أول التوبة ، ورأى ذلك أنسب للمعنى والمناسبة التي تخدمها السورة ، والأشهر عند الأمة أن براءة سورة مستقلة ، وأن القرآن بها (١١٤) سورة وأن بسملاته كذلك (١١٤) بما فيها البسملة الثانية من سورة النمل ، ويذكرون لذلك نكاتا بلاغية ، وإشارات صوفية وبدائع أدبية مستطرفة .

#### القراءات السبع :

روى البخاري ومسلم ، واللفظ للبخاري ، قال رسول الله ﷺ : «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَلَمْ أَزَلْ أُسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ» .

قال الزهري : «إنما هي في الأمر يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام» . نقول : ولا يختلف فيه الرسم ، وإن اختلف النقط .

وروى الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام ، عن أبي بن كعب ، قال : ما

حاك في صدري شيء منذ أسلمت ، إلا أنني قرأت آية ، وقرأها آخر غير قراءتي فقلت أقرأنيها رسول الله ﷺ . فقال : أقرأنيها رسول الله ﷺ .

فأتينا رسول الله ، فقلت : يا رسول الله . أقرأني آية كذا وكذا؟ قال : نعم وقال الآخر : أليس تقرئني آية كذا وكذا؟! قال نعم .

فقال : «إن جبريل وميكائيل أتياي ، فقعد جبريل عن يميني ، وميكائيل عن يساري ، فقال جبريل : اقرأ على حرف ، فقال ميكائيل : استزده ، حتى بلغ سبعة أحرف ، وكل حرف كاف شاف» . اهـ .

قلنا : وقد رواه كذلك النسائي ، ويحيى بن سعيد القطان ، وابن أبي عدي ، وابن ميمون ، ويحيى بن أيوب .

وروى مسلم وأحمد عن أبي بن كعب ، قال : «كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سَوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فَقُمْنَا جَمِيعًا فَدَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ثُمَّ دَخَلَ هَذَا فَقَرَأَ قِرَاءَةً غَيْرَ قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ اقْرَءَا فَقَرَأَا قَالَ أَصَبْتُمَا فَلَمَّا قَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ الَّذِي قَالَ كَبُرَ عَلَيَّ وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا رَأَى الَّذِي غَشَيْنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي فَفَضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظَرُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَرَقًا - أَيِ خَوْفًا - فَقَالَ يَا أَبُي إِنَّ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوْنٌ عَلَى أُمَّتِي فَأَرْسَلَ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَهُ عَلَى حَرْفَيْنِ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوْنٌ عَلَى أُمَّتِي فَأَرْسَلَ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ وَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنيهَا قَالَ قُلْتُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي وَأَخَرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ فِيهِ الْخَلْقُ حَتَّى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ» .



وروى ابن جرير قال عليه السلام : «فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب الجنة» .

وفي رواية ابن جرير بإسناد صحيح حول هذه القصة ، أنَّ السورة كانت سورة النحل ، وأنَّ الأول بعد ما قرأ قال له الرسول : أحسنت ، وكذلك قال للثاني بعد أن قرأ : أحسنت . وأنَّ الرسول عليه السلام لما رأى تغير وجه أبي ، دعا له قائلاً : اللهم أخسئ الشيطان عنه . . . والروايات في هذا الباب متعددة .

وفي رواية أحمد بإسناد صحيح : «أيما قرأت أجزاءك» !! .

وفي رواية أبي عبيد وأحمد : «فلا تماروا فإن وراء فيه كفر» . أي : في النزول على الأحرف السبعة ، وفي رواية لأحمد (فأي ذلك قرأتم أصبتم) وفي رواية البخاري : «فاقرءوا ما تيسر منه» .

قلنا : فإن لكل قراءة فيضاً ومدداً .

وفي رواية البخاري أنَّ اللذين حدث بينهما الخلاف هما : عمر بن الخطاب ، وهشام بن حكيم ، في سورة الفرقان ، وأنَّ النبي عليه السلام استمع لهذا فقال : كذلك أنزلت واستمع لصاحبه فقال : كذلك أنزلت .

وفي رواية البخاري أيضاً ، أنَّ صاحب الحادثة هو عبد الله بن مسعود وآخر ، وأنَّ النبي استمع لهما ، فقال «كلاكما محسن فاقرءا» .

وهذا يدل على أن الحادثة قد تكررت ووقعت لأكثر من واحد من الصحابة ، وكان لها أكثر من أصل .

قال أبو عبيد : «وليس معنى تلك السبعة ، أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه ، وهذا شيء غير موجود ، ولكنه عندنا أنه نزل على سبع لغات متفرقة في جميع القرآن ، من لغات العرب ، فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة والثاني بلغة أخرى ، سوى الأولى ، والثالثة بلغة أخرى سواهما ، كذلك إلى السبعة وبعض الأحياء أسعد بها ، وأكثر حظاً فيها من بعض . وهو يريد هنا باللغات اللهجات» .

قلنا : فهذه هي القراءات وقد يكون لكل قراءة أكثر من وجه كما هو معروف .

وهذا لا يخالف فهم من فهم من السلف ، أن الأحرف بمعنى الأوجه أو المعاني المتقابلة ، كالأمر والنهي ، والترغيب والترهيب ، والقصص والأمثال ، فالتوفيق بين الوجهين وإعمال الرأيين غير متناف ولا متناقض .

### جمع القرآن وترتيبه :

قال الخطابي : «إنما لم يجمع النبي ﷺ القرآن في المصحف ؛ لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه ، أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله ، بوفاة ﷺ ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك ؛ وفاءً بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة» .

والواقع أنه جمع القرآن ثلاث مرات .

الأولى : على عهد رسول الله ﷺ ؛ فقد ورد بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت ، قال : «كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع - يعني : نرتب الآيات والسور في مواضعها من الرقاع

**والأكتاف والعصب والأدم - ونربطها بالخيط** . ثم حفظ ذلك الجمع الأول في بيت عائشة .

**الثانية :** على عهد أبي بكر ، كما جاء في صحيح البخاري عن زيد بن ثابت عندما استحرَّ القتلُ بالقرآن يوم اليمامة ، وخشي عمر أن يذهب القرآن ، وأشار على أبي بكر بإعادة جمعه في الورق ونحوه بدل الرقاع والأكتاف ، وما يزال يراجع حتى شرح الله صدره لذلك ، فكلف به زيد بن ثابت ، وعمر بن الخطاب ، ووضع لذلك أدق الشروط فكانت لا تثبت آية إلا بشهادة العدول الثقات ، وبعلم الصحابة أجمعين واتفاقهم ، ثم حفظ هذا المصحف بعد هذا الجمع عند حفصة بنت عمر .

**الثالثة :** على عهد عثمان ، كما رواه البخاري عن أنس ، وسببه فزع حذيفة من اختلاف القراء في اللسان ، وفي الترتيب ، فطلب عثمان من حفصة المصحف الذي جمعه أبو بكر ووضعه عندها ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث ، فنسخوا هذا المصحف في المصاحف العثمانية السبعة التي أرسلها إلى الأمصار ، كما جاء عن السجستاني وغيره .

ثم جمع عثمان اثني عشر رجلاً من رءوس المهاجرين والأنصار ، وهو معهم فراجعوا هذه المصاحف ، ثم أرسل بها إلى الأمصار ، وأمر بحرق ما عداها ، فجَمَع عثمان ، كان لجمع الناس على القراءات المعتمدة ، لا أنه جمع الآيات والسور كما هو شائع .

وسبب الأمر بحرق ما عدا مصحف عثمان أن بعض الصحابة ، كان قد

فاتته آيات لم يحضر نزولها ، أو آيات نُسخَت كتابتها ، أو كان هو قد كتب القرآن بغير الحرف المتفق عليه ، أو نحو ذلك ، حتى يجتمع الناس على مصحفٍ إمامٍ واحدٍ كاملٍ على صورة آخر ما علمه جبريل لرسول الله ﷺ فافهم ذلك كله واترك ما عداه .

وقد ثبت في الصحاح أن ترتيب المصحف وسوره ، كان توقيفياً من جبريل للنبي ﷺ خصوصاً في العرصة الأخيرة التي كانت مرتين في آخر رمضان له ﷺ ، ثم نقل ﷺ هذا التوقيف الإلهي إلى الصحابة فحفظوه ، وعليه رتبوا المصحف الإمام .

أما أصول المصحف الإمام التي كانت عند حفصة رضي الله عنها من الأحجار والأكتاف والأدم والعسب ، فقد أحرقها مروان بن الحكم بعد وفاة حفصة قطعاً للذرائع .

#### وقد أرسل عثمان المصاحف السبعة إلى :

- ١- مكة . ٢- البصرة . ٣- الكوفة . ٤- الشام .
- ٥- اليمن . ٦- البحرين . ٧- المدينة .

وكتب لنفسه مصحفاً خاصاً ، هو الذي سال عليه دمه يوم استشهد .

وقد ذكر الحافظ أبو الفداء ابن كثير (من رجال القرن الثامن) أنه رأى المصحف الإمام بجامع دمشق ، وقد كتب في رَقٍّ ، يظنه من بطون الإبل .

وقد نقل الشيخ رشيد رضا أن أحد هذه المصاحف كان قد وصل إلى قياصرة الروم فاحتفظوا به حتى وهبه الشيوعيون أخيراً للأمير بخاري بعد أن حفظوا صورته الشمسية عندهم ، ولكن الأصل لم يصل إلى الأمير .

### رسم المصحف وعلاماته :

عرفنا أن سيدنا رسول الله ﷺ لم يمت إلا والقرآن قد استقر محفوظا في الصدور مثلوا على الألسن ، مكتوبا في الرقاع ، مرتب الآيات والصور كما هي في اللوح المحفوظ ؛ تحقيقا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ [٧] فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ ، وهذا هو توفيقه تعالى على لسان جبريل ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ [الأعلى : ٦] ثم تكفل الله بحفظه على ما هو عليه ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وذلك على صورته حين عرضه الرسول ﷺ مع جبريل عرضته الأخيرة مرتين في آخر رمضان قبل انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى . كما أسلفنا ذلك .

وحين كُتب المصحف لعهد النبي ﷺ في الرقاع واللخاف والسعف والعظام ، وحين جمع لعهد خليفته أبي بكر ، وحين كتب لعهد عثمان على الاتساع ، لم تكن الحروف منقوطة ، ولا مشكولة ، وكان ذلك من العوامل المساعدة على قراءة المصحف بكثير من الوجوه الواردة عن الرسول ﷺ وهي التي نسميها الآن بالقراءات ، حسب لهجات أشهر قبائل العرب .

ولكنه لما اتسعت رقعة الإسلام ودخل فيه مع العرب غيرهم ، خيف أن يتسلل اللحن إلى القرآن ، فطلب زياد عامل العراق إلى أبي الأسود الدؤلي التابعي القارئ المتقن ، أن يضع للحروف علامات تضبط القراءة ، فابتكر أبو الأسود علامات توضع على أواخر الكلمات ، هي عبارة عن نقط من لون يخالف لون حبر المصحف ، فجعل الفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة نقطة تحته ، والضممة نقطة إلى جانبه ، وجعل للتنوين نقطتين ، ولم يكن ذلك كافيا في تحقيق غرضه .

ثم جاء نصر بن عاصم فابتكر النقط المعروف الآن وجعله بلون حبر المصحف، ووليه الخليل بن أحمد فابتكر الشكل الحالي تقريباً، وجعل الفتحة ألفاً صغيرة مسطوحة فوق الحرف، والكسرة ياءً تحته، والضمّة واوًا أعلاه، والسكون رأس حاءٍ فوقه، والشدّة رأس سين، والمدّ ألفاً رأسيّةً، ثم تطور الشكل حتى انتهى إلى الوضع المتفق عليه الآن.

ثم جاء علماء التجويد بعد ذلك وعلماء اللغة والخط، فوضعوا علامات الوقف والابتداء، وعلامات الأجزاء والأحزاب والأرباع والأعشار، ومواطن السجّادات حتى انتهوا إلى أرقام الآيات، كما وضعوا أصول المعاجم والفهارس القرآنية التي عرفت بيننا الآن.

وكذلك توفر العلماء فوضعوا قواعد التلاوة والأداء، من الغنّ والمدّ، والإدغام، والإخفاء، والإظهار، والإقلاب، والزّوم، والإشمام، والهمس والقلقلة، والسّكت، وتحديد مخارج الحروف، وترقيقها وتفخيمها، وإمالتها وغير ذلك من وجوه القراءات الواردة عن رسول الله ﷺ. وفي كل ذلك وضعت كتب ومؤلفات، لم تدع من أمر المصحف شيئاً إلا بيته تمام البيان.

ومن ثمّ كان رسم المصحف وأداؤه في كثير من الأحيان خاصّاً به ولا يُقاس عليه تمجيّداً له، وتقديساً للمتوارث منه، وإبقاءً له على خصائص تاريخه.

### الفرق بين التفسير والتأويل:

قال ابن حبيب النيسابوري: «نبغ في زماننا مفسرون، لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتمدوا إليه».

قالوا: والتفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهاً واحداً، والتأويل توجيه

لفظ يحتمل معاني مختلفة ، إلى معنى واحد من هذه المعاني ، بدليل مرجح عند المؤول .

وقالوا : التفسير : إخبار عن دليل المراد ، والتأويل : إخبار عن حقيقة المراد .  
وقال الماتريدي : التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هو هذا .  
والشهادة على الله بأنه عني باللفظ هذا ، والتأويل : ترجيح أحد  
المحتملات بدون القطع والشهادة على الله .

وقال أبو عبيد وجماعة : التفسير والتأويل شيء واحد .

وقال الراغب : التفسير أعم من التأويل ، وأكثر استعمال (التفسير) في  
الألفاظ ومفرداتها ، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل ، وأكثر ما يستعمل  
(التأويل) في الكتب الإلهية ، (والتفسير) يستعمل فيها ، وفي غيرها .

وقد قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ وقال : ﴿ لِيَذَكَّرُوا آيَاتِهِ ﴾  
وقال : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ وهذه كلها من أصول التوفر على  
التأويل والتفسير .

قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي راويا عن الصحابة : إنهم كانوا إذا تعلموا  
من النبي عشر آيات ، لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل .

وقالوا : التفسير متعلق بالرواية ، والتأويل يتعلق بالدراية .

وقال أبو نصر القشيري : التفسير مقصور على الاتباع والسمع ،  
والاستنباط مما يتعلق بالتأويل .

وقال آخرون : ما وقع مبينا في كتاب الله ، ومعينا في صحيح السنة :

سُمي تفسيراً ، والتأويل ما استنبطه العلماء لمعاني الخطاب .

وقالوا : التفسير علم نزول الآيات وترتيب مكّيها ومدنيّها ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، وحلالها وحرامها ، ووعدّها ووعدّها ، وأمرها ونهيها ، وعبرها وأمّثالها ، وإعرابها وتصريفها . . . إلخ .

والتأويل علم المعاني والمقاصد والأحكام والأسرار والحكم .

قلنا : وهكذا يكاد يكون الإجماع على أن التفسير شيء غير التأويل ، ومن مجموع ما قدمناه ، نستطيع أن نقول : إنّ التفسير ، هو بيان المراد من الآيات المحكمة ، وما جاء في تفسيره نص (على قلته) من بقية الآيات .

وإن التأويل هو الاجتهاد في حدود الشروط المشروطة ، في سبيل الوصول إلى المراد من الآيات غير المحكمة ، والتي لم يرد في تفسيرها نص بالذات .

وإن إطلاق التفسير على التفسير والتأويل معاً ، إنما هو من باب التغليب .

أخرج ابن مردويه مرفوعاً قال ﷺ : (يؤتي الحكمة) يعني القرآن . قال ابن عباس يعني تفسيره ، فإنه قد قرأه البرّ والفاجر . وأخرج ابن أبي حاتم نحوه عن ابن عباس .

وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة ، قال : ما مرت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتني ، لأنني سمعت الله يقول : ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ .



## طرائف قرآنية

ونستحب أن نختم هذا البحث بهذه الطرف البليغة البالغة :

١- من الطرائف أن لفظ الجلالة (الله) ذكر في القرآن على المتواتر (٩٨٠) مرة ، وقد اتخذ بعض السادة من هذا العدد إشارة خاصة ، فجعله غاية الورد اليومي ، والقدر المتوسل به إلى الله ، مستنداً إلى أن أي شيء جاء في القرآن ، لم يجيء اعتباطاً ومصادفة ، وإنما هو لِسِرٍّ وحكمة ، ولهذا جاء الأمر بتدبر القرآن وآياته ، وقد أخذ بعضهم من هذا العدد أن لفظ (الله) هو الاسم الأعظم .

٢- وقد جمع القرآن كلمات من لغات أشهر القبائل ، ليتم له الكمال ، والعمومية فمثلاً جاء فيه : وزيلنا ، بمعنى ميّرنا بلغة حمير . والوصيد : بمعنى الفناء بلغة مذبح . وصياصيههم : بمعنى حصونهم ، بلغة قيس عيلان . وكلّ : بمعنى عيال بلغة سعد العشيرة . ومنسأته : بمعنى عصاه بلغة الحضارمة . وحصرت : بمعنى ضاقت بلغة اليمامة . ولأحتكن : بمعنى لأستأصلن بلغة الأشاعرة . ولينة : بمعنى نخلة بلغة الأوس . وينفضوا : بمعنى يذهبوا بلغة الخزرج . . . إلى غير ذلك .

٣- قال ابن جرير ما إجماله : إن ما ورد عن ابن عباس وغيره من أن بعض ألفاظ القرآن فارسية الأصل أو حبشية أو نبطية أو نحو ذلك ، إنما اتفق فيها توارد اللغات ، فتكلمت بها العرب وغيرهم بلفظ متقارب النطق . نقول : وهذا مذهب موفق . فلفظ جهنم في العبرية : كهنام . والشیطان : سطن . وصلوات : صلوتا . وفردوس في الرومية :

فرداسا . . . إلخ ، فهو من قبيل التوارد لا من قبيل النقل ، وحتى لو قلنا بالنقل من الأعجمية على شكوها إلى العربية ، فإن ذلك تم على يد أصحاب اللغة أنفسهم ، وهم الذين يملكون أن يختاروا لها ما هو أقرب إليها وأصلح ، ثم يهذبونه بالتعريب والصقل والإدماج ، فتتوفر له الصورة والروح العربية ، ويأخذ مساره فيها ، منسلخاً لفظاً ، وأداءً عن أعجميته ، فيصبح عربياً ، كلفظ : الأرائك والاستبرق ، والشُرَاق ، والسندس ، والأباريق ، والقسطاس . . . إلخ .

ثم لماذا نقول: إنَّ العربية نقلت إليها هذه الألفاظ، ولا نقول إنَّ اللغات الأخرى نقلتها منها، ما دام أنه لا يوجد مرجح علمي تاريخي معتمد. الحق أن المسألة فيها نظر، والانتصار هنا للعربية هو عين الإنصاف.

٤- وآيات القرآن على المشهور (٦٢٣٦) آية ، وكلماته (٧٧٤٣٩) كلمة ، وحروفه (٣٤٠٧٤٠) على خلاف على بعض الجزئيات غير ذي بال ، ولعلماء العدد في ذلك كلام كثير ، في بعضه متعة وطرافة .

قالوا: ونصف القرآن ينتهي بلفظ (وليتلطف) من سورة الكهف، وعدد السور (١١٤) سورة، منها (٢٣) سورة مدنية، تزيد على ثلث القرآن، وهي تشمل طوال المفصل، ويلاحظ في آياتها الطول، وعدد الآيات المدنية (١٤٥٦) آية، ومنها (٩١) سورة مكية وهي أكثر قصار المفصل، ويلاحظ في آياتها القصر، والآيات المكية أكثرها زجر ودعوة، والآيات المدنية طويلة وأكثرها تعليم وبيان.

وقد قسّم المسلمون المصحف إلى ثلاثين جزءاً، وقسموا كل جزء إلى

حزبين، وقسموا كل حزب إلى أربعة أرباع، فيكون الجزء حزبين، أي ثمانية أرباع، وعلى هذا سار العمل بلا خلاف.

٥- المكي من القرآن ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها على الأشهر، وفي القرآن من البدائع والطرف والأمثال والحكم والمعارف والكونيات ما لم يجمع في كتاب سماوي ولا أرضي سابق ولا لاحق.

نفعنا الله به وجعلنا من أهله آمين .

\*\*\*

## لحظة مع أبي العتاهية

قررت ألا أشغل من هذا العدد أكثر من صحيفة ، حتى أهيئ مجالاً للكلمات التي ضاق عنها المجال ، بسبب كلمتي في العدد الماضي ، ثم خطر لي أن أشغل هذه الصحيفة ببعض محفوظي ، الذي أشعر بأثره اليوم ، من شعر أبي العتاهية ، فإذا أنا أمام قوله :

إلهي : إن الناس لا ينصفونني	وإني وإن لم أقترف ظلميوني
وإن كان لي شيء تصدّوا لأخذه	وإن رُحْتُ أبغي شيئهم منعوني
وإن نالهم رفدي ، فلا شكر عندهم	وإن أنا لم أبذل لهم شتموني
وإن وجدوا عندي رخاءً تقربوا	وإن نزلت بي شدّة خذولني
وإن طرقني نكبة ، فرحوا بها	وإن صحبتني نعمة حسدوني

وقد أذكرتني هذه المقطوعة قوله رحمه الله :

لا عيب في جفوة إخواني	فبارك الله لإخواني
لست بذئ مال فأرعى على الـ	مال ولا صاحب سلطان
ما يرتجي مني أخ شأئه	شاني والفقر من شاني
لأرهبه مني ولا رغبه	عندي فيرجوني ويخشاني
وقلما يصفو على غير ذا	ت الله إنساناً لإنسان

وإنه ليعجبني قوله غفر الله لي وله :

سيعرض عن ذكري ، وتنسى مودتي	ويحدث بعدي للخليل خليل
إذا ما انقضت عني من الدهر ليلة	فإن غناء الباقيات قليل

نسألك اللهم حسن الخاتمة ، ونعوذ بك من السلب بعد العطاء .

## خمسُ إجاباتٍ على خمسَ أسئلةٍ تصوفٍ وتفسيرٍ<sup>(١)</sup>

### أشهرُ الرَّابَعَاتِ:

الصوفيّات الصالحات ، اللواتي عرفن باسم رابعة أكثر من واحدة في أكثر من وطن ، ولكن أشهرهن :

**أولا :** رابعة العدوية : وتعرف أيضا بالبصرية ، نسبة إلى البلد ، كما تعرف بالقيسية ، نسبة إلى القبيلة ، وهي التي وضعت منهاج العشق الإلهي ، وخلصت الود مع الله من فكرة النفعية والمعاوضة ، وهي التي عاصرت الإمام الثوري وأقرانه ، فاختلبت حُبَّهم ولُبَّهم ، وهي التي شهد لها ابن تيمية بالتقوى والإيمان ، ودافع عنها في بعض ما نسبوه إليها ، وهي التي ينصرف إليها الحديث ، إذا ذكر اسم رابعة بغير تحديد ، وحول حياتها الأولى تدور روايات ملفقات ، ليس للصدق في أكثرها مكان ، ومنها ما يذاع بالراديو في هذه الأيام .

وقد عاشت عذراء بتولا ، لم تتزوج رغم كثرة محاولات أهل التقى ، وأهل الغنى ؛ لأنها كانت تعلم أنها لا تستطيع أن تقوم بواجب الزوج فتعرض لمعصية الله .

وقد توفيت سنة مائة وثمانين من الهجرة ، ودفنت على أرجح الأقوال بالبصرة في العراق .

(١) غرة ذي القعدة (١٣٨٤هـ) - ٤ مارس (١٩٦٥ م) ، العدد الرابع السنة الخامسة عشرة .

ثانياً: رابعة بنت إسماعيل : المعروفة بالشامية وكانت تسمى «رائعة» بالهمزة، وقد تسهل الهمزة فتسمى رابعة بالياء المثناة، ثم اشتهرت باسم سابقتها رابعة بالياء الموحدة، لأنها انتهجت منهاجها في حب الله .

وهذه تزوجت من أحمد بن أبي الحواري، وقد سارت سيرة سابقتها العدوية والتزمت منهاج العشق الإلهي، وعُرفت به، وهي التي كان بينها وبين ذي النون المصري، تلك المحاورات المعروفة، فقد كانا متعاصرين، وكثيراً ما يخلط بعضهم بينها وبين العدوية، في الأحداث والأشعار، والآثار والتاريخ، مع تباعد ما بينهما من الزمان والمكان، والمنزلة .

وقد توفيت الشامية سنة مائتين وتسع وعشرين، ودفنت على الأصح في رأس زينا ببيت المقدس في فلسطين .

ثالثاً: رابعة المصرية : ولم يُعرف من تاريخها إلا أنها كانت صاحبة تقية زاهدة واصلة ذات كرامات، نهجت نهج سابقتها في مذهب الحب الإلهي فأطلق عليها الناس اسم رابعة .

وربما رفع بعضهم نسبها من الأب أو الأم إلى رابعة الأولى، ورابعة المصرية هي المدفونة بقرافة الإمام الشافعي في مصر، مع بعض الصالحين في ركن من مشهد معروف هناك .

وبعض المؤرخين يرى أن دفينة مصر هي «رابعة الشامية» لما ورد من رحلتها وزيارتها لمصر، وفي هذا نظر؛ لأنه لم يرد أنها توفيت بمصر من طريق معتمد .

كما أن بعضهم يرى أن المكان المنسوب إلى رابعة المصرية ، إنما كان في الأصل منزلاً لرابعة الشامية ، أثناء نزولها مصر ، وحافظ عليه الناس تبركاً به ، ثم لزمته إحدى الصوفيات الصالحات ، التي عرفت فيما بعد باسم رابعة المصرية حتى دفنت به .

وقد عرف بهذا الاسم المبارك ، عدد آخر من الصالحات في عدد من الأوطان ، ولكن أشهرهن من ذكرنا ، والله أعلم نستغفره ونتوب إليه .

#### من أسرار زيارة مشاهد أهل الله :

وعلى ذكر تحقيق مواطن الدفن ، فإن الزائر العارف لمشهد من مشاهد الصالحين ، لا يزوره من أجل وجود جسده في القبر فقط ، فيهدي إليه من دعواته وصدقاته ، ويتزود من ذكرياته ، ويأخذ العبرة من حياته ومماته ، طلباً للأجر ووفاء لصاحب القبر ، ثم ينتهي عند ذلك الأمر .

بل هو فوق ذلك ، إنما يزوره لترتبط بمعنوياته بمعنوياته ، وتتعلق روحانياته بروحانياته ، ويستمد مما يفيض الله عليه من بركاته ، ويستلهم من سر ما وراء الموت ، فيشف ، ويرق ، ويقوى ، ويستعلي على المادة ، ويتخلص من الآصار والأغلال البشرية ، فيصبح أهلاً للعلاقة بالله ، والترقي في مستويات أهل الغيب والعرفان .

وقد انتهى العلماء من تقرير حقيقة أن الأرواح باقية ، وأنها مدركة ، وأنها درجات عند الله ، وأن الله مكرمها بعد موتها بما يشاء ، وأن تعلقها بأهل الأرض قائم ، ولم يعد هناك مجال للجدال في هذه الحقائق لا من حيث الشرع ولا من حيث العقل ، ولا من حيث النقل ، ولا من حيث العلم القديم أو الحديث .

ولهذا شرط أشياخنا أن ينسلخ الزائر من كل مشاغله ومشاكله ، وأن يغمض البصر بعد أداء سُنة الزيارة ، مندمجا بكنه المهمة في العالم الروحي ، عسى أن يُفاض عليه في لحظة من هذه اللحظات ، بما لم يدركه بمجاهدة سنوات وسنوات .

وليس هذا المعنى العالي مشروطاً ، بوجوب وجود الجسد في مكان الزيارة بالذات ، فحسبك القصد والتوجه ، والعزم والانفعال ، والحركة والاستحضار ، كوسيلة لإعداد روحك لتلتقي بروح المزور ، في مركز معين تتوفر فيه صلاحية التلاقي الروحي ، فإن شئت سم هذا المركز مشهداً ، أو ضريحاً ، أو مدفنًا ، أو قبرًا ، أو مقامًا ، أو مزارًا ، وحسبك أن ترجح أنه لفلان ، فإنما أنت تتعامل مع الله العليم الخبير ، والأعمال بالنيات ، والله يحقق لك المراد في أي أرض وأي واد .

غير أنه كلما كان في هذا المركز المعين أثر فعلي من المزور ، كلما كان هذا ادعى إلى التعلق والتحقيق ، والشفافية ، والتسامي إلى مقامات القرب ، والشهود والمنازلة والاستمداد والفناء ، وللعلم القديم والحديث جولات في مجال تعلق المعاني بالآثار .

ومعنى هذا أنه ما دامت قد توفرت الصلاحية في الزائر ، بالاستعداد والقبالية ثم في مكان الزيارة ، بالسكينة ، والعمق ، والإمداد ، فقد يتحقق المقصود من تلاقي الأرواح ، وإن لم يكن بالمكان أثر من جسد المزور ، فإنما المزارات محاطٌ ومراكزٌ عرفية لتيسير التلاقي الروحي ، الذي قد يتم في أي مكان صالح سواها .

وهبنا زرنا قبر إنسان باسم إنسان آخر غير المقبور فيه ، فقد قررنا أن



الجسد ليس له الاعتبار الأول في الزيارة؛ لأنه ليس محل التعلق والاسترواح، وإن كان بالفعل محل قدسية، من حيث إنه أكرم بقية من هيكل المزور، ولروح المزور به نوعٌ تعلق أكيد، فهو من هذا الوجه، سبب في تيسير إدراك المعنى الرباني المقصود من الزيارة ليس إلا، وإنما التلاقي والتعلق وما هو منه، خاص بالروح وحدها.

ثم هل من الغريب، أن يلتقي إنسان بإنسان في بيت إنسان آخر؟ طبعاً لا بل هو مألوف، مفضل في كثير من الأحيان، لتحصيل الجمع بين أكثر من فائدة واحدة.

والشأن كذلك مع الأرواح، فأنت بتوجيه طاقاتك، إلى روح معين، ستلتقي به إن شاء الله عند توفر الصلاحية، وإن كان في مزار غير مزاره، فإن عالم الأرواح، عالم انطلاق وانكشاف لا تتحكم فيه محدودية الزمان والمكان، ولا قيود إنسانية الإنسان، فقد انعدمت هناك صور الملكية والاحتكار والخصومة، فعالم البرزخ عالم إمكان، وأهل الله إخوان، ومزار أحدهم باب إلى كلهم كيفما كان، وهكذا ترى أن المعنى المادي هنا ساقط نهائياً من حساب العارفين، فإنما هو نظر سطحي مفقود الاعتبار، بل لعله نوع من الوثنية التي لا يعرفها قانونهم، ولا مكان لها في قلوبهم ولا عقولهم على الإطلاق.

فهل أدركت الفرق بين زيارة وزيارة؟ وبين إيمان وإيمان؟ وبين هدف وهدف؟ وتبارك الذي يؤتي الحكمة من يشاء.

### ألقى الشيطان في أمنيته:

في إحدى الأمسيات الثقافية الروحية الأخيرة بالعشيرة، أثير موضوع

«الغرائق»، وكيف يلقي الشيطان في أمنية الأنبياء؟ ولحساسية هذا الموضوع أرجو أن أسجل فيه وجهة النظر المحمدية، بعد أن كررنا شرحها شفويا باستفاضة واستقصاء، غير مرة في غير مجلس، ففيها - في تصورنا - خير ينفع الناس.

وتتلخص وجهة نظرنا في أن القرآن قد قرر أنه ليس للشيطان سلطان على عباد الله الصالحين، والأنبياء في العباد قمم، ونبينا فيهم قمة القمم، فليس للشيطان عليه سلطان قط، لا في أقواله ولا أفعاله ولا أحواله، وفي الصحيح أن الشيطان عرض له ﷺ وهو يصلي، ولولا دعوة سليمان، لربطه ﷺ في سارية المسجد فأصبح تلعب به صبيان المدينة.

وفي هذا التصوير النبوي منتهى التهوين والزراية بالشيطان، فالشيطان من النبي في مزجر الكلب لا يريم، ومعنا نصُّ الكتاب والسنة، فقول بعض المفسرين: إن الشيطان ألقى في أمنية الرسول ﷺ يعني في «قراءته» ما لم يأذن به الله، ثم جرى ذلك على لسانه ﷺ في قصة الغرائق، ونقله عنه الناس، ثم نسخه الله وطهر منه قرآنه، هذا القول مضاد للنص القرآني ولقانون معقولية الأشياء، ولدستور العصمة النبوية، وللمنشور القرآني بحفظ الله لكتابه.

والذي نراه - والله أعلم - أن الشيطان المراد في الآية هو شيطان الإنس، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

هذا الشيطان الإنساني الكذاب، الذي سمع القرآن محكما، فزاد فيه من عند نفسه، وأشاع الزيادة بالباطل، فنسخها الله ومحاه.

وليس هذا الشأن خاصًا برسولنا وحده ، ولكنه سابق في الأنبياء من قبله ، كما دلت عليه الآية السابقة فهو وجه مما يتلى الله به أنبياءه : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ فإن هؤلاء لما عجزوا عن محاكاة القرآن ، زين لهم سوء الدس فيه ، وهكذا يمحو الله ما يدس الشيطان - شيطان الإنس - بإظهار نبيه عليه ، وفضحه بين المؤمنين ، ثم يحكم الله آياته .

وفي اعتقادنا أن هذا هو الأشبه بالواقع ، والأحرى بمقام النبوة ، وهو ملحق بخصيصة العصمة النبوية ، فإن الرسول ﷺ ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ فلو قيل : أجرى الشيطان على لسانه شيئًا ، لكان قد نطق عن هوى الشيطان ، وهو أخبث الهوى ، ولكان هذا من هذا الوجه أيضًا مناقضًا للنص القرآني الصريح كما قدمنا .

ولو أننا سلمنا جدلاً ، بأن شيطان الجن قد فعل ما فعل ، لكان ذلك منافياً لوعده الله في حفظ كتابه ، ثم لانفتح أمامنا بذلك باب جواز الشك في القرآن كله ، وقد : ﴿ أَحْكَمْتَ آيَاتِهِ ثُمَّ فَضَّلْتَ مِنْ لَّدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ ثم لاهتزت أمامنا شخصية النبوة بقدرة الشيطان عليها ، وهذا ما يقف بنا طويلاً أمام قوله : ﴿ لَا غَوْيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخَلَّصِينَ ﴿ ومن كل هذا يتعين أن يكون المراد هو شيطان الإنس الذي كذب على الله ورسوله ، ودس في القرآن هذه الأراجيف التي فضحها الله .

وهذا الوجه البسيط اليسير المعقول المقبول خير في عقيدتنا من كل ما قيل في هذا الباب من أقوال فيها تكلف واضح ولف ودوران عقلي ، أو

تعليل بلاغي متهافت أو مترفع خاص بمستوى طبقي معين ، والقرآن لكل الناس .

وإذا كنا قد خالفنا أשיاخنا في هذا الفهم أو في غيره ، فهو في سبيل الحق ، وبديله الحق ، والله هو الحق المبين .

### يا عيسى إني متوفيك :

وأثير في بعض أمسياتنا الثقافية الروحية ، قضية تَوْفِي عيسى عليه السلام ورفعته ، واستعرضنا كل ما نقل المفسرون في هذا الباب ، وبيننا أن أتفه قول ، بل أسفه قول فيه ، هو القول بأن التوفي هنا معناه الموت ، وقلنا إنه يكفي في إسقاط اعتبار هذا القول ، أنه من رواية «وهب بن منبه» فوق أنه متفق مع عقيدة النصاري في أكثر من وجه ، ولا علينا إن كان قد قال بهذا الوجه فلان أو فلان ، فالحق فوق كل فلان ، متفلسفا كان أو متمسلفا .

واللغة العربية تقرر ، كما هو ثابت في المعاجم والقواميس أن توفي يعني : أخذ حقه كاملا ، وتوفيت من فلان حقي : أخذته تامًا ، وتوفيت الشيء : استكملته ، والتوفي كذلك : الموت ، وهو أيضا النوم ، كل بحسب مقتضى الحال .

فيجوز أن يكون متوفيك يعني مستوفي لك حقك وكرامتك عليّ ، فلا يقتلك اليهود ، أو متوفيك قابضك من الأرض كما أنت بروحك وجسمك تام الإنسانية ، من توفيت مالي على فلان ، بمعنى قبضته كاملا إليّ ، وحفظته عندي ، أو متوفيك أي : مميتك بعد نزولك من السماء ، على رأي من يقول بأن الواو بين متوفيك ورافعك لا تفيد الترتيب ، ولا تعيّنهُ ، فيكون الرفع ، ثم يكون النزول في آخر الزمان لخدمة الإسلام ، ثم

يكون الاكتهال الذي ذكره الله به في القرآن ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ ثم تكون الوفاة ، كما ثبت في صحاح الأحاديث .

والذي نميل إليه ، بل الذي نرجحه ، ونعتقده بدليله ، أن التوفي هنا بمعنى النوم ، أو ما هو في معنى النوم ، الذي يكون إعدادًا وتجهيزًا لتحمل حال الرفع من الأرض ، ومواجهة روحانية السماء ، فيكون التوفي بمعنى الإعداد والتجهيز ، بالدخول في النوم والغيبوبة ، أي يكون مقدمة طبيعية ضرورية للرفع ، فيها تتغلب الروحية على البشرية ، توطئة لمعاناة الحياة السماوية الجديدة .

وإلى نحو هذا تقريبا أشار غير واحد من المفسرين .

ودلينا عليه من القرآن : قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنُكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ .

فالآية صريحة في أن التوفي هنا بمعنى الإنامة (النوم) ، وترتيب الآية تؤكد لحقيقة المعنى بإحكام لا يقبل التأويل ، والنص فيه ذكر البعث أي اليقظة بالنهار بعد التوفي أي النوم بالليل لقضاء الأجل المسمى على الأرض .

وكذلك قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ .

أي : ويتوفى الأنفس التي لم تمت بأن يلقي عليها النوم ، وهكذا أسمى الله النوم بالتوفي ، وأوضح هذا المعنى بصراحة مطلقة قائلا : ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهذه الأرواح المرسلة هي

التي توفاهما بالنوم ، وأما التي أمسكها فهي التي توفاهما بالموت وانقضاء الحياة ، ففرق بين التوفي بالنوم والتوفي بالموت .

وخير تفسير القرآن ما كان بالقرآن نفسه ، وعليه يكون معنى متوفيك كما قدمنا : جاعلك في حالة النوم أو ما هو كالنوم ، إعدادًا للإنسانيتك ، وشحنًا لطاقتك ، حتى تواجه مقام الرفع بلا ضرر يصيب جسمك ، أو فزع يصيب نفسك ، من روعة الشأن ورهيبته ، وهكذا يتجرد التوفي في هذا المقام من معنى الإمامة ، ويتجرد الإيمان من أسباب القلق والبلبله ، والله الهادي إلى الصواب .

#### همت به وهم بها :

وكذلك أثير في ندوة مساء الأربعاء بالعشيرة ، من القضايا المكررة ، قضية ﴿ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ ، والمسألة في رأينا وعلى طريقتنا ، أهون من أن تستغرق كل هذا الجدل ، فإن وضوح الآية والغاية معًا ، لا تستوجبان شيئًا من كل هذه الاستشكالات اللفظية والفكرية ، فقد حفظت الآية ليوسف حق النبوة ، كما حفظت له حق الرجولة ، على فرض أن الحادث كان بعد التَّنبِّي ، أما إذا كان الحادث قبل التنبِّي ، فتصبح القضية أشد هونا وبساطة ، وأدنى من أن تستغرق أي قدر من الجدل ؛ فإن مجرد الهم - على فرض وقوعه وقتئذ - صغيرة من اللمم لا تتنافى مع الحفاظ قبل النبوة ، أما على فرض وقوع الحادث بعد النبوة فإن منطوق الآية يقول ما يأتي :

**أولا :** ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ وهنا وقف قرآني لا بد منه ، للفصل بين ما يتعلق بها ، وما يتعلق به ، وهذه الجملة قضية خبرية ، ثبتت

بطريق القطع ، أن الغريزة هيمنت عليها فهَمَّتْ به فعلاً لإرواء شهوتها ، وإطفاء غريزتها .

**ثانياً :** ﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ، وهنا وقف آخر ، يفيد أن في الآية تقديماً وتأخيراً بلاغياً ، تقديره : ولولا أن رأى برهان ربه هم بها .

ومعنى هذا أن الله حفظه وعصمه ؛ فلم يهم بها لأنه رأى برهان ربه قبل الهم ، ولولا إدراك الله إياه بالبرهان لحصل الهم ، أي أنه لم يحصل هم قط لسبق رؤيا البرهان ، وهكذا أثبتت الآية بالتالي ، فيما يختص بيوسف أمران :

**الأمر الأول :** أنه لم يحصل منه هم قط ؛ لأنه رأى برهان ربه بمجرد أن همت هي به ، فامتنع وجود الهم منه بوجود البرهان ، وقوله تعالى بعد هذا : ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ برهان قاطع في صحة هذا التوجيه الطبيعي للآية .

**الأمر الثاني :** إثبات الفحولة ليوسف ، من حيث اكتمال استعدادة الرجولي واستجابته للفطرة الغريزية ، وهي في الرجال كمال ، وبهذا انتفت عنه منقصة الخنوثة التي قد تصحب الجمال في بعض الأحيان ، وصرف الله عنه سوء الهم بالفحشاء .

وهكذا نخرج من الآية ، بمزيد فضيلة ليوسف ، دون استشكالات نقحمها على الآية ، وليس لها بين مفاهيمها مكان : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ .

أما قولهم مثلاً : همت به للمتعة ، وهم بها ليضر بها أو ليعدها أو ليفلت منها ، أو ما هو من هذا الباب على كثرته فهو لا يخدم جانب يوسف أبداً ، ولا نرى له محلاً على الإطلاق ، مع وضوح الآية ويسرها ، كما تناولناها على فهمنا وأسلوبنا البسيط ، ونستغفر الله .

\*\*\*



## اشتراكية متدينة غير ملحدة الفرق بين الشيوعية، والاشتراكية العربية<sup>(١)</sup>

في بعض أو أكثر الدوائر المعنية بالدين، همس وإشفاق أن تنزلق بنا الاشتراكية يوما ما إلى الشيوعية؛ فإن الشيوعيين يذيعون في الناس أن الاشتراكية كيفما كانت إنما هي خطوة عملية إلى الحياة الشيوعية بما فيها من الإلحاد والانحلال واللاأخلاقية، وقد عمل أصحاب المصلحة في ذلك على نشر هذا الرأي بكل الوسائل بين الجماهير العربية والإسلامية في مختلف الأوطان، وقد تلقيت عشرات الأسئلة في هذا الجانب من داخل الجمهورية وخارجها.

وكان هذا الإحساس سبباً في أن يتقدم بعض السادة إخواننا أعضاء مجلس الأمة، إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر في جلسة ٢٥/٢/٦٥ للهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكي العربي بعدة أسئلة في هذا الموضوع نشرها الأهرام في ١٣/٣/٦٥ منها السؤال الذي وجهه الأخ العضو السيد سالم محمد شحاته عن حقيقة اشتراكتنا، هل هي ملحدة، أم مادية؟ فأجاب السيد الرئيس قائلاً ما نصه:

«اشتراكتنا هي التي في الميثاق، لا هي مادية ملحدة، ولا هي مادية لا روحية ولا هي مادية بس، ولا هي روحية بس، ولا هي ماركسية، وأنا اتكلمت على الاشتراكية وقلت: الاشتراكية تنبع من ظروفنا، والي يقول لك

(١) غرة ذي الحجة (١٣٨٤ هـ) ٣ أبريل (١٩٦٥ م)، العدد الخامس السنة الخامسة عشرة.

إن اشتراكيتنا ملحدة حط صباeck في عينه ، واللي يقول لك اشتراكيتنا مادية بس حط صباeck في عينه ، وقول له إن هذا الكلام مش موجود في الميثاق» .

ثم قال الرئيس : ومش معقول نقول إن إحنا اشتراكيتنا روحانية بس ، ونقعد مصنعش ولا نخططش ، اشتراكيتنا هي اشتراكية مادية واشتراكية روحية يعني إيه مادية ؟ يعني مش معقول أبدا أقول إن أنا أخلي الناس ما تجوعش ، وما أبني لهاش مصانع ، لأن إذا ما بنتش مصانع حتجوع الناس ، وبعدين مش ممكن أقول إن الراجل ما يسرقش ، وأنا ما أديلوش أجر يوكل عياله ، اللي مش لاقى أكل يوكل عياله ، وما عندوش أجر وعاطل ، حيسرق غصبني عني وغصبني عن كل واحد ، فإذن اشتراكيتنا مادية ، واشتراكيتنا في نفس الوقت روحية .

### وجاء في كلام الرئيس :

هل الاشتراكية ضد الدين؟ سؤال .. كلام بينقال . طبعا فيه ناس بتقولك أيوه الاشتراكية ضد الدين ، طبعا هذا بيفسر الدين على أنه استغلال الإنسان للإنسان ، الدين فرض الزكاة ، ربع العشر على رأس المال ، الدين الإسلامي اللي عايز يفسره على أساس أنه دين اشتراكي يجده فعلا دين اشتراكي ١٠٠٪ الفترة اللي سيطر فيها الإقطاع ورأس المال كانوا بيحاولوا أنهم يستخدموا الدين إحنا ما بنقولش في الاشتراكية إن كل الناس متساوين مع بعض أبدا .. إحنا بنقول لا ، مفيش طبقة أسياد وطبقة عبيد ، مفيش طبقة أسياد تملك كل شيء إرثا ، وطبقة عبيد تعمل لتأكل وتعيش فقط ، بنقول إن مفيش طبقات ولكن فيه جهد ، وفيه عمل ، كل واحد بياخد وفق جهده ، وكل واحد بيكافأ وفق عمله ، إذن لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون الاشتراكية ضد الدين ، بل

الاشتراكية هي تطبيق العدالة الاجتماعية التي نص عليها الدين .

### ثم قال الرئيس:

وأسئلة أخرى : هل إحنا شيوعيين؟ .. هل جمال عبد الناصر شيوعي؟ هل خلاص مثلا حنبقى حمر؟ هذا الكلام بيتقال؟ يقول هذا الكلام الناس اللي عايزين يوقفوا التقدم، ويوقفوا التطور، يقول لك خلاص الدنيا اتخربت وراحين الشيوعية.. في مؤتمر قوى الشعب العاملة أنا اتكلمت وقلت إن إحنا عندنا خلاف مع الشيوعية كبير جدا، خلافا مبدئية، الخلاف المبدئي مثلا الشيوعية لا تؤمن بالدين، إحنا بنؤمن بالدين، وبحرية الأديان، إيه هيه الشيوعية إيه أساسها؟ دكتاتورية البروليتاريا، دكتاتورية طبقة، إحنا قلنا في الميثاق، إن إحنا لا يمكن نستبدل دكتاتورية طبقة بدكتاتورية طبقة أخرى، الشيوعية بتؤمن بهدم الطبقة البرجوازية، اللي هي الرأسمالية أو الإقطاعية بالعنف، إحنا قلنا إن إحنا لا نؤمن بالعنف، وقلنا إن إحنا بنقول عندنا تحالف قوى الشعب العاملة، وديمقراطية كل الشعب.. كون الشيوعية بتنادي بعدالة اجتماعية، وإحنا بنادي بعدالة اجتماعية.. حد يقول إحنا شيوعيين؟ أنا باقول له إن الإسلام ينادي بالعدالة الاجتماعية.. والدين المسيحي ينادي بالعدالة الاجتماعية، فيه حاجات قطعاً ممكن يحصل التقاء فيها، الخلاف أيضاً الأساسي هو الدولية إن إحنا نتبع حركة دولية، أو نكون تابعين لحركة دولية.. إحنا صممنا على أن نكون مستقلين استقلال كامل.

إذن بيجي واحد ويقول دول ماركسيين، أبدا، باقول لا، صحيح الماركسية النهارده ثلث العالم معتنقها - اللي هي الشيوعية - لكن بيتيجي

الماركسية بتقول إنها لا تعترف بالدين ، أنا باقول لا . . أنا باختلاف اختلاف جذري في هذا ، يقولوا لابد من دكتاتورية البروليتارية ، بقول لا أنا باختلاف اختلاف جذري في هذا ، بيتكلموا على العنف ، باقول لا أنا باختلاف اختلاف جذري في هذا ، إذن إحنا اشتراكيتنا شيء ، والشيوعية شيء آخر .

وكذلك أجاب الرئيس على سؤال للأستاذ الأخ أحمد سعيد الذي قرر أن بعض الشيوعيين سيطروا على بعض الصحف ، وكتبوا ضد الأديان ، وحاولوا إدخال المفاهيم الشيوعية إلى نفوس الناس ، فقال الرئيس :

«طبعاً هو بالنسبة لأي واحد يكتب ضد الدين نعتبره انحرف وخرج عن الميثاق ، وإذا كان حد كتب ضد الدين بتبقى تقول لنا مين اللي كتب ضد الدين ، وتبين لنا هذا الموضوع ، طبعاً إذا حد دعا لأي شيء غير الميثاق ، ودعا للشيوعية يكون فعلاً فيه انحراف ، لأن المفروض إن أجهزة الصحافة حرة في حدود الميثاق بالنسبة لإتاحة الفرص للشيوعيين : إحنا على استعداد لإتاحة الفرص لهم جميعاً ، إنهم يمشوا في مجتمعنا ويأخذوا أوضاعهم ويعملوا على أساس الالتزام بالميثاق ، وعلى أساس أن مانخدش طعنات في ظهرنا ، وعلى أساس إن مفيش تنظيم ، لأن أي واحد حيعمل تنظيم شيوعي سنعتقله ، ولو دعا الأمر إلى إن إحنا نطلب من المجلس زي ما هم عاملين في الهند ، إن المجلس يعمل لجنة علشان يعتقل بدون محاكمة» .

نقول : وأخيراً جاءت كلمة الملك الحسن التي ألقاها في حفل العشاء الذي أقامه بمناسبة انتهاء زيارته للجمهورية العربية المتحدة وفيها النص

الآتي موجهًا إلى السيد الرئيس : «أريد يا فخامة الرئيس بهذه المناسبة أن أقول كل ما يخالجنني أنني سمعت من الشعب المصري وبالأخص في المنصورة عبارات جعلتني أطمئن على المستقبل الإسلامي في هذا البلد العربي . . سمعته يستعملون عبارة أصيلة في الإسلام تجعل من هذا البلد لا يفرط في المسؤولية الدينية والدنيوية ، وذلك دليل آخر على أن الشعب المصري أراد أن يطبق في حياته الاشتراكية ولكنها الاشتراكية الإسلامية الحققة . . سمعتهم يبايعونك ، وهذا ما جعلني أعلم وأعرف أن الحرب الصليبية لا امتداد لها ماديا ولا معنويا في هذا البلد الآمن من العالم العربي الإسلامي» .

ذلك ما عَنَ للمسلم أن يسجله بالنسبة لأهمية الموضوع وخطورته ، ليكون حجة لمن شاء أن يستقيم ، وعلى من شاء أن ينحرف ، ويسمي الدعوة إلى الله ، وإلى الفضائل جمودا أو رجعية ، أو عداء للثورة والتطوير ، وليكون بين يدي الإخوان الرد الصريح المسكت ، في مواجهة الخطأ في الفهم أو التوجيه ، أو استغلال الوضع الجديد ، استغلالا ضد الدين ، أو القيم الروحية ، أو المعايير الشريفة المقررة في التشريعات والمعاملات ، والأخلاق العامة والتقاليد الإسلامية .

لقد كتبت مريم روبين المحررة بالأهرام تقول : إنها دخلت على السيد حسن صبري الخولي الممثل الشخصي للرئيسي جمال عبد الناصر ، فوجدت على مكتبه لوحة كتب فيها الحديث الشريف «اللهم اجعل أول يومي صلاحا ، وأوسطه نجاحا ، وآخره فلاحا ، وارزقني خيره وخير ما فيه ، وقني شره وشر ما فيه» .

ولا شك أن في هذا دليلا عمليا على أن رجال الرئيس وأقرب الناس

إليه يتمتعون بإحساس ديني عميق، وحسبك المعروف عن المشير عبدالحكيم عامر النائب الأول للسيد الرئيس، من أنه لا يسير أبدا إلا والمصحف في جيبه.

وهذه أيضا رحلات السيد الرئيس إلى المساجد في المناسبات الدينية المتعددة ومن حوله رجاله ووزرائه، وذكره اسم الله تعالى في كل خطبة، وفي تصريحاته، وأحاديثه، ولو لم يكن من شيء إلا محطة إذاعة القرآن بالإضافة إلى إذاعة الأذان ثم شعائر الجمع والأعياد والمناسبات الدينية، والاهتمام بالأزهر، ومواصلة إنشاء وترميم وإصلاح وتعمير المساجد وتشجيع الوعظ والإرشاد، وما هو من هذا القبيل لكفى في الرد على هؤلاء الذين يعملون لهدم الدين باسم الثورة.

ومعنى هذا أن ما يبدو من بعض الناس من نزوات أو بدوات ضد مفاهيم الدين والقيم الأخلاقية، فإنما هو أثر عادي من آثار حركة التطور، وعلى المسؤولين أن يعالجوها بعلاجها، فإنه قد ثبت أن ترك الأمور الأخلاقية - بصفة خاصة - للتربية المنزلية، والتوجيه الأبوي، أمر يمد في حبل الغواية والفساد، على الأغلب الأكثر والله يزعم بالسلطان، ما لا يزعم بالقرآن، ولو أن السادة المسؤولين أولوا هذا الأمر بعض العناية لم يبق لأحد - على أي مستوى - مجال لاعتراض، ثم إن على علماء الدين مداومة الإرشاد والتوجيه والبيان، والله يفعل ما يشاء.

لقد سجلنا بعض ما ذكره «ميثاق العمل الوطني» عن الدين، على غلاف مجلة المسلم بطريقة مستمرة، لنقطع بها ألسنا مفتونة، ونكسر بها أقلاما مجنونة، ونلجم أناسي لا تزال تظن أن الدين عبء على الثورة،

وأن علماء ودعاته -بزعمهم- عامل من أكبر عوامل التخلف والجمود والرجعية ، وإذا كان هذا من بعض وجوه تطبيقه تطبيقا صادقا على قلة نادرة من المنتسبين إلى الدين لسبب أو لآخر ، فإنه لا ينطبق إطلاقا على العاملين المجاهدين الذين يعملون بعلم ، والذين يبينون للناس فرائد الحكمة ، والذين يعرفون أين هو الطريق .

\*\*\*

## أخطر دعوة تناهض القرآن والميثاق وتتحدى صريح الدين وتصريحات الرئيس فأين حراس هذا التراث؟<sup>(١)</sup>

المدعو الدكتور محمد مندور وهو المجعول من قادة الفكر في هذا العهد ، وكان يصدر من قبل مجلة باسم «الشرق» سداها ولحمتها الدعوة إلى الشيوعية ، كتب أخيرا ، في العدد (١٩) من مجلة الفجر التي يصدرها قسم الصحافة بكلية آداب جامعة القاهرة بتاريخ ٨ / ٤ / ١٩٦٥ مقالا جريئا متوقفا على دين الله ، والأخلاق الإنسانية السامية ، عنوانه «موقف شجاع من الحياة» كله دعوة إلى نبذ الأديان والأخلاق ، جاء فيه ما نصه :

«أدت الحرب العالمية الثانية ، إلى انتشار مذهب فكري وأخلاقي جديد ، هو المذهب (الوجودي) ذلك أن أهوال وفظائع هذه الحرب قد أوحى بفسل التراث الديني والأخلاقي ، في قيادة البشر وتجنبيهم الوليات ، حتى قال جان بول سارتر زعيم الوجودية : إن الوجودية ليست دعوة بل تقرير واقع ، وإن البشر قد تحولوا إلى وجوديين ، بضغط تلقائي من الأحداث والفجائع ، التي ابتلوا بها في الحرب» . ثم قال مندور :

«والوجودية ترى أن مبادئ الدين والأخلاق قد أفسدت قيادة البشر ، وأن الإنسان لم يعد يؤمن إلا بأنه موجود ، وعليه أن يعدل سلوكه في كل

(١) غرة المحرم ( ١٣٨٥ هـ ) - ٢ مايو ( ١٩٦٥ م ) ، العدد السادس السنة الخامسة عشرة .



موقف من مواقف الحياة، بمحض اختياره وتقديره الفعلي لمصلحته الحقيقية، كفرد وكعضو في مجتمع، بدلا من أن يعود إلى التراث الديني والأخلاقي يستوحي منه سلوكه».

ثم استطرد مندور يضرب مثلا للسلوك الوجودي، بمسرحية «الذباب» التي كتبها سارتر وفيها: يقتل الابن أمه بالاشتراك مع أخته لأنها رأيا لمصلحتهما الشخصية في ذلك، وأنها استطاعا بعد هذا أن يستبعدا عنهما عذاب الضمير الذي شبهه بطنين الذباب؛ لأن راحتها وسعادتهما كانت متوقفة في رأيهما على قتل هذه الأم.

ومجلة المسلم تعرض هذا النموذج الوقح من الإغراء السافر بالجريمة والدعوة الفاجرة إلى نبذ الدين والخلق، دون أدنى موارد أو استحياء، عسى أن يتنبه المختصون إلى هذه الحمأة المجرمة التي يسوقنا إليها هؤلاء المدعوون بقيادة الفكر، والذين تُمكن لهم أدوات الإعلام ووسائل النشر والإذاعة على كل المستويات.

والعجب الذي لا ينتهي: كيف أجاز الأستاذ الدكتور عبد اللطيف حمزة رئيس قسم الصحافة أن يُنشر هذا الدعر الجريء؟؟ وكيف أجاز الحرس الجامعي عرض هذا الكلام الخطير على طلبة الجامعة؟؟ وهم بعد لم تتم لهم الوقاية الذاتية، ولا الفكرية؟ من أمثال هذه الأوبئة؟

وأعجب من هذا وذلك أن هذه الدعوة تتحدى بكل تبجح نصوص القرآن ومواد الميثاق، وتتحدى بكل استهانة، كافة تصريحات السيد

الرئيس الأخيرة عن العهد الجديد وولائه للدين «وقد نشرنا في العدد الماضي كثيرا من هذه التصريحات» المؤيدة بأعمال السيد الرئيس ورجاله .

وهنا نذكر في هذا الباب نصا جديدا من أواخر ما صرح به السيد الرئيس ، في هذا الجانب بالإضافة إلى ما سبق أن نشرناه ، وقد جاء هذا النص بالعمود الأخير من الصحيفة التاسعة من جريدة «الأهرام» الصادرة في ٢٦ / ٢ / ١٩٦٥ قالت : «وقال الرئيس جمال عبد الناصر ، إنه إذا حاول الشيوعيون ، إيجاد تنظيم شيوعي ، فإن ذلك سوف يكون ضد الميثاق ، وكذلك إذا حاول أحد منهم أن ينشر دعوة إلحادية تمس الدين ، وفي هذه الحالة ، فإن الدولة لن تسكت ولن تقبل» . اهـ .

فهذا هو واحد منهم يستهتر بكل القيم والمعايير والعقائد والمواريث ، فينشر دعوة إلحادية تمس صميم الدين باسم الوجودية ، التي يخفي وراءها وجهه الشيوعي المعروف فما الذي ستتخذة الدولة ، لا أقول لتأديبه وإلجأه ، ولكن لاتقاء شره ودفع بلاياه؟ والحيلولة دون هذا الخطر الداهم على أخلاق الشباب ودينهم العزيز .

إن الأمر جد خطير ، والصحافة وأقلامها حرة حقا ، ولكن في الحد المعين المحدود ، وإلا كانت الفوضى والبلاء الأعم .

إن الدين يهاجم من وراء حجب شتى ، فباسم الأدب الحديث يهاجم القرآن ، ليقتضى عليه بالقضاء على خصائص لغته وآدابها ، فيقتضى بهذا على الدين من أساسه .

وباسم الحرية الشخصية ترتكب أشنع الموبقات ، ويشيع الانحلال بألوانه الوبائية المتكاثرة المذهلة التي يترنح من تحتها المجتمع الإسلامي بلا ولي ولا نصير .

وباسم التقدمية تهاجم قواعد الشرع في الزواج والطلاق ، وما يتعلق بالأحوال الشخصية ونظام الأسرة ، حتى اجتراً القواعد من النساء المتصابات فضلاً عن الصبايا ، على تجريح الأصول المعلومة من الدين بالضرورة ، مطالبات بقوانين مدنية تحقق لهن الهبوط الحيواني الذي يعصمهن منه الدين .

وهكذا ، لا يوشك أن نفيق من صدمة ، حتى نلقى صدمة أخبث وأعنف وقد كان الأمل في الأزهر بمجمع بحوثه الأعلى ، أن يشكل هيئة دائمة لتتبع هذه الخطيئات السوافر ، وتفنيدها ، ودحض حججها بنفس المنطق التي أذيعت به ، وتلك هي وظيفة الأزهر الأولى ومسؤوليته الدائمة الخطيرة ، وما لم يتجرد الأزهر لمثل هذه المواقف فمن ؟

إن الناس لم يجدوا أنفسهم مدفوعين تلقائياً إلى الوجودية ، كما يدعي سارتر ، ويذيعه مندور ، إنما دفعتهم إليها الحيوانية المستشرية واليأس والخوف والاضطراب الذي سببته الحروب ، حين اعتمد مشعلوها على أنفسهم ومخترعاتهم وتركوا الله ، والمثل العليا ، وحقوق الإنسان ظهرياً ، فالوجودية نفسها نوع من اليأس والاندفاع إلى مجرد التغيير ، ومحاولة إشباع الرغبات ، فهي امتداد للحرب في باطن الإنسان نفسه .

ولو أنصف الناس لقرروا الواقع ، من أن الناس اندفعوا بعد الحرب الثانية تلقائية وبحق ، إلى نوع من التصوف الإنساني ، جعلهم يقررون حقوق الإنسان ، ويعترفون بحق الأمم المستعبدة في الاستقلال والحرية ، وينهضون لمحاربة الجوع ، ومكافحة كثير من ألوان الجبروت ، والظلم والأنانية ، ثم غلب عليهم الخوف والقلق مرة أخرى ، واستفحلت أزمة عدم الثقة بينهم ، فانتكسوا إلى الضراوة ، وارتكسوا إلى الحرب الباردة بكل مشاكلها وأخطارها الإنسانية فردية واجتماعية .

ولو أنهم استقاموا على نهجهم الصوفي الأول الذي أشرقت به الدنيا ، وولدت به لهم منظمتهم الكبرى ، التي سموها «هيئة الأمم» للمحافظة على القيم والمثل والمعايير والاعتبارات الإنسانية بكل أنماطها التي كانت أخطر نتيجة حصلوها من خبرة الحرب وأهوالها ، أقول : لو أنهم استقاموا على هذا النهج ، لما أصابهم ما أصابهم اليوم ، حتى أوشك الله أن يعمهم بالعذاب مرة ثالثة : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ﴾ .

فيا أيها المسئولون السادة ، ماذا بعد هذا؟؟

إننا ننتظر ، والله أكبر وأقدر .

### حاشية :

الذين يبحثون في الوجودية من حيث نشأتها يبدئون أحيانا بالفيلسوف الدانماركي «كيركيغور» ولكن بعضهم أحيانا يذكر الفيلسوف الألماني

«هيكل» من قبله ويقولون إنه كان الباعث على الفكرة الوجودية لدى «كيركيغور» وبعضهم يذكر «هسرل» بأنه هو الذي مهد السبيل بعد «كيركيغور» أمام الوجوديين أمثال «هيدكر» و«باسبرز» الألمانين، بل أمام «سارتر» الفرنسي، وقد يذكر الباحثون شكسبير الإنكليزي بأنه وجودي، ويذكرون معه المركيز «دي ساد» أو «دوستيوفكي»، وغيرهما ممن لا يظن بأن لهم أية صلة بالوجودية، وكتب الكاتب الأمريكي «أولسون» مقدمة لتاريخ الوجودية فعاد به إلى الفلاسفة اليونانيين، ولكن وجودية «سارتر» شيء غير ما ذهب إليه هؤلاء، وإن اتفقت في بعض الملامح مع بعض ما ذهبوا إليه فهذه الوجودية إباحية شيوعية مدمرة.

\*\*\*

## مع البدوي المفتري عليه وحديث عن الأربعة وعن التصريف وعن الولاية وعن الديوان<sup>(١)</sup>

ثلاث دعاوى مفتعلة متحلة، يتجر بها حول ذكرى السيد أحمد البدوي طائفتان، طائفة جاهلة متأكلة، متأكلة، متواكلة، وطائفة أخرى جاحدة حاقدة، متحاملة متجاهلة.

وقد كنا تصدينا من قبل لتفنيد بعض هذه الدعاوى، حتى عاد فآثارها من جديد أولئك الذين يتجرون بها ويعيشون على حسابها، وهنا نعود فنقول:

### أما الدعوى الأولى:

فهي تجري على السنة الطبقة الساذجة من الجماهير، على حسن نية - ما في ذلك شك - ولكنها دعوى لا تمت إلى الواقع بنسب أبداً من بعيد، ولا قريب، وليس فيها من معاني التشريف عقلاً ولا شرعاً ما يحمل على قبولها، أو الاعتذار عنها.

تلك هي دعوى أن الإمام البدوي، كانت له بطن كالمحيط يحشوها بطعام يكفي أمة، ثم يخلطها بماء يجري به البحر الأعظم، وهذه أكذوبة على رجل زاهد، كان استغراقه في الله لا يدع له لذة في طعام ولا شراب. وما عُرف عنه من الصوم الموصول، والفناء في الحق، لا يجعل لهذه الفرية

(١) غرة صفر (١٣٨٥ هـ) ١ يونية (١٩٦٥ م)، العدد السابع - السنة الخامسة عشرة.

سبيلا إلى ذكره، إلا في جهل الجاهلين أو دس الدسائين، أو بلاهة الحمقى من المريدين.

وعندما نتأول هذه الدعوى بأن المراد بها إنما هو ما عُرف به الشيخ من الكرم والسماحة، فليس هذا المعنى مرادًا أبدًا عند العامة، وليس من البر إلا أن نصححه لهم على الواقع، وإذا كان قد حدث للشيخ من الكرامات ما هو من هذا الباب لسبب أو لآخر، فهذا شيء نادر، لا يكون حكمًا على طبيعة الشيخ، ولا ينسحب عليه معناه على الدوام، فهذه واحدة.

#### وأما الدعوى الثانية :

فهي تجري على السنة الطبقة المتعالة، خصوصًا أولئك الذين يدعون السلفية، ويتخذون من التورك على أولياء الله سبيلاً إلى غاياتهم الدنيوية التافهة، وهي الدعوى التي تقول: إن السيد كان صاحب دعوة سياسية لخدمة الدولة الفاطمية، ولا شك أبدًا في أن هذه الفرية إنما صنعتها الأحقاد، واخترعتها النفوس الملتوية رجاء النيل من سيرة الرجل الذي لم يعرف في تسلف المتمسكين له نظير.

فإن التاريخ يقول: إن الدولة الفاطمية كانت قد دالت وانتهى أمرها بقيام صلاح الدين الأيوبي في النصف الثاني من القرن السادس، ومعروف أن صلاح الدين ومن بعده لم يدعوا طريقة أبدًا إلا استغلوها في القضاء المطلق على الدعوة الفاطمية، وقد ولد السيد البدوي بعد القضاء على المذهب الفاطمي بنحو ثلاثين سنة، وجاء مصر وعمره واحد وأربعون سنة، أي أنه كان قد مضى على تلاشي الدولة الفاطمية نحو سبعين سنة، استقر الحكم فيها للأيوبيين نهائيًا ولم يبق للفواطم أثر ولا

خبر ، لا في المشرق ولا في المغرب ، فكيف يكون البدوي وقتئذ جاسوسًا لدولتهم أو داعية إلى مذهبهم ؟

وكذلك كانت المدة التي قضاها البدوي بمكة مطهرة من كل دعوى ، بريئة من كل أثر سياسي ، وفي رحلته إلى العراق لم يؤثر عنه شيء مما ادعاه الكذّابون عليه ، وقد كان يتعبد الله على مذهب الشافعي ، وكان يدرّسه للناس ويفتي به ؛ فلم يكن «شيعيًا» ، وكونه فرعًا من الدوحة النبوية المطهرة ، لا يعني أنه كان ذيلًا لفكرة سياسية ، ولم يكن مقبولًا ولا معقولًا أن يقوم بالدعوة لدولة بادت ومضى على سقوطها سبعون عامًا ، وفي فتوة الدولة التي أبادتها وقضت عليها ، وفي وطنها وتحت عيون رجالها .

لقد عاصر الإمام البدوي بمصر أحرص ملوك الأيوبيين والمماليك وأشدهم جبروتًا وبأسًا ، عاصر من الأيوبيين العادل الثاني ، ثم الصالح نجم الدين ، ثم توران شاه ، ثم شجرة الدر ، ثم الأشرف موسى ، ثم عز الدين أيبك التركماني - الذي بدأت به دولة المماليك البحرية - ثم نور الدين علي بن أيبك ، ثم سيف الدين قطز ، ثم الظاهر بيبرس الذي توفي السيد البدوي في حكمه .

وفي كل تلك العهود حانت فرص ومناسبات ، وقامت فتن واندلعت ثورات لو كان للبدوي غاية لانتهازها في إبانها ، وليس من المعقول ، أن يعاصر الرجل ملوك دولتين على غاية في نفسه لا تنكشف لواحد من حكامها ، خصوصًا الظاهر بيبرس الذي كان يأخذ بالظن ، ويجعل الشبهة الطارئة في مقام اليقين الثابت ، ثم إنَّ في شهادة أعلام علماء عصره له ما يكفي ويشفي ، ثم في مشاركته الكبرى في حرب الصليبيين ما يدحض هذه الفرية الحقيرة من كل النواحي .



وهذه وصايا الرجل وآثاره وتعاليمه لا يجد فيها منصف ولا مغرض إشارة إلى السياسة من قريب ولا بعيد، فتلك هي الدعوى الثانية التي أحببت أن أنفيها علميًا وعقليًا عن هذا الإمام الرباني العظيم ﷺ .

### وأما الدعوى الثالثة :

فهي ما جاء في رسالة بلهاء، أصدرتها - مع الأسف - مشيخة طريقة أحمدية رسمية، تقول : إنَّ السيد أحمد البدوي، عندما زار مصر نزل ضيفًا على الشيخ مرزوق اليماني بالجمالية .

قالت الرسالة : وكان الشيخ مرزوق رجلًا فقيرًا يسكن حجرة ضيقة لا تسعه إلا هو وزوجته، فيها يعيشان، وفيها يعملان حياة الكفاف .

والسؤال الوارد على هذا الكلام الساذج، أنه ما دامت حجرة الشيخ مرزوق كانت لا تسع أحدًا معه هو وزوجته، فأين كان يبيت ضيفهما السيد البدوي؟!!

هل كان يبيت على الباب، وهما في داخل الحجرة؟ أم كان يبيت مع الرجل وتبيت الزوجة في خارج الحجرة؟ أم كان يبيت هو مع الزوجة، ويبيت الرجل خارج الحجرة؟ أم كان يبيت مع الرجل وزوجته في الحجرة الواحدة التي لا تسع إلا اثنين؟! ثم كيف يكون شأن ثالث بين زوج وزوجته؟!!

ويمتد السؤال، فيتناول حياة السيد البدوي النهارية مع فقيرين يبذلان الجهد المضني ليجدا لقمة العيش، وهنا يتفرع السؤال إلى أسئلة مضحكة يترتب بعضها على بعض، ليس منها فرع إلا وفيه حرج، وفيه

تجريح ، لا يرضاه شرع ولا عقل ولا تاريخ ، للإمام الصوفي ، ولا للمذهب الصوفي .

ويمضي السؤال على طبيعته ، فيقول : هل كان البدوي نكرة إلى هذا الحد ، وهل كان منبوذاً تافهاً إلى درجة ألا يجد داراً تؤويه إلا دار رجل تجمع مع الفقر انعدام شرعية الضيافة؟ وأين كان إحساس البدوي وعلمه وكرامته ومريدوه؟!

أما الجواب : فقد صدق من قال : عدو عاقل ، خير من صديق جاهل .

القصة كلها «تخريفة» بلهاء مدسوسة على الرجلين ، وضعت ليتسلل بها أحد اثنين : إما الأغبياء والبلهاء!! وإما الخصوم والأعداء!! ولهذا فنحن نبرئ حتى الجهلاء من تصديق هذا الهراء!!

ويتعلق بهذا الموضوع ذكر ما يعرف اليوم بمسجد «سيدي مرزوق» وهو المعروف تاريخياً «بمسجد التركماني» ، وله قصة وتطورات ربما عدنا إليها وإلى متعلقاتها يوماً ما .

رحم الله إمامنا البدوي ؛ فقد ظلموه ، ورحم الله الشيخ مرزوق ؛ فقد جهلوه ، ورحم الله محمود التركماني ؛ فقد أنكروه ، ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه ، فأراح واستراح !! والدعوى بلوى !!

### حول الأقطاب الأربعة :

وبمناسبة الكلام عن الإمام البدوي ، كثيراً ما تُثار مسألة الأقطاب الأربعة ، وقُرَأَ «المسلم» يذكرون ما سبق أن قررناه أخذاً من الحديث

الثابت ، من أن هناك طبقات مشرفة من عباد الله ، أحياناً ، وأبدالاً ، ونجباء ، ومفردين ، وأولياء<sup>(١)</sup> ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ .

### القطب الفرد الجامع :

وطبيعة الأكوان تقتضي حتماً أن يكون هناك المفضل والفاضل والأفضل . والمنطق الحاكم لا يصدق بالتساوي المطلق بين أي اثنين ، كما أن المنطق الحاكم يحتم بالقطع أن درجات الأفضلية لا تزال تتدرج هرمياً من الأكثر ، إلى الكثير إلى القليل إلى الأقل ، إلى فرد واحد ، يجتمع له من الفضل ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره ، فذلك الذي سمّاه الصوفية بالقطب الفرد الجامع ، يريدون الشخصية الفريدة التي جمعت من أنماط الكمال ما لم يتوفر لغيرها في عصرها .

### التسمية بالقطب :

والتسمية بالقطب عند الصوفية كناية اصطلاحية ، لا ينسحب عليها اعتراض ؛ لأنّ البشرية أجمعت على أنّ لكل طائفة حريتها في اختيار الأسماء الاصطلاحية لمسميات موضوعاتها ، وبين أيدينا الآن موسوعات ضخمة للمصطلحات العلمية القديمة والمستحدثة ، في كل علم ، وفي كل فن ، ليس لعادل على شيء منها اعتراض ، وليس في دين الله السماح الفسيح الخالد ما يمنع أبداً من ذلك ، وبذلك انقطع اللجاج حول هذه التسمية ، ثم حول ما يليها بالقياس .

(١) للإمام السيوطي رسالة جلية في إثبات هذه الحقيقة بحسن رجوع الصوفية إليها (المسلم) .

**تدرج القطبانية :**

ولما كان رأس البشرية وأكملها على الإطلاق هو سيدنا المصطفى ﷺ ؛  
كان القطب الفرد عند الصوفية المسلمين ، هو من اجتمع له من الكمالات  
ما لم يجتمع لغيره في عصره ، فهو القائم على قدم سيدنا رسول الله ﷺ .

ولما كانت الأمة قد أجمعت على أن أكمل الناس بعد الرسول ﷺ هم  
الخلفاء الراشدون الأربعة ، اعتبر الصوفية أن أكمل أربعة في عصرهم بعد  
القطب الفرد ، هم خلفاؤه ووزراؤه على أقدام الراشدين الأربعة .

ولما لم يكن بقية الصحابة على فضلهم المؤكد ، ليسوا في رتبة واحدة من  
القرب ، بحكم الشرع والعقل ، كان منهم الأبدال الأخيار الذين هم في  
المرتبة التي تلي الأربعة مباشرة ، وهم الذين أشار الحديث النبوي بأنهم  
على قدم سيدنا إبراهيم ، وأنه لا تخلو الأرض منهم حتى تقوم الساعة ،  
وأولئك هم الأقطاب عموماً عند الصوفية ، والاختلاف في عددهم غير  
ذي بال ، فالجمع بين روايات الحديث ممكنة .

ثم يأتي من بعد هؤلاء «التُّجباء» الذين أشار إليهم الحديث كذلك ،  
ثم المفردون ، الذين بشرهم النبي ﷺ بالسبق ، ثم «الضعفاء» الذين  
يُزَرَّقُ المسلمون ويُنصرون بهم ، على ما في الحديث الثابت ، ثم يأتي من  
بعدهم طوائف الأبرار و... ﴿ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ وكل أولئك هم  
أولياء الله .

ثم يرى السادة أن صفوة آل بيت الرسول ﷺ هم أئمة كل طائفة ،

والمقدمون في كل مرتبة ، حتى يكون آخرهم المهدي عليه سلام الله ، وبه يكون ختم القطبانية والولاية في الأمة .

### مذهب ثابت بدليله :

وإذ قد عرفت هذا الإجمال فقد وجب أن تعرف أنه ليس عقيدة حتمية ولا هو شرط في صحة الدين ، ولكنه مذهب ثابت بدليله شرعاً وعقلاً عند أهله وهو فضيلة ، يحصلها من شاء ، ويدعها من شاء ، وهم لا يحبون أن يكرهوا أحداً على رأي لا يراه ، كما لا يحبون أن يكرههم أحد على رأي لا يرونه ، وبخاصة إذا كانوا يحسبون في مخالفته - بدليلهم - معصية لله ، أو انحرافاً عن صواب ثابت عندهم ، وبهذا نريد أن نحسم اللجاجة المأجورة أو المغفلة أو المقلدة ، في هذا الجانب .

### الأربعة أحياء وموتى :

ومن المقرر عند القوم - رضي الله عنهم - أنه لا يزال من الأحياء أربعة على أقدام الراشدين الأربعة ، يرثون مقامهم الروحي الكبير عند الله : ﴿اللَّهُ يُرِيكِي مَن يَشَاءُ﴾ ، حتى إذا انتقل منهم رجل إلى الرفيق الأعلى قام مقامه غيره من السادة ، فلا تخلو الأرض من بركات وجود هؤلاء الأربعة الأحياء ، غير أن منهم من كتب الله له الاشتهار ، ومنهم من كتب الله له الاستتار ، ترتيب الفطرة والقدر السابق : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ .

فممن اشتهر ممن ورث أقدام الأربعة مثلاً : الإمام الرفاعي ، والجيلاني ، والبدوي ، والدسوقي ، والشاذلي ، وشاه نقشبند ، وجلال

الدين الرومي ، والغزالي ، والتجاني ، وألوف لا تُحصى في المشارق والمغارب ، ممن انتقلوا إلى رحمة الله ، ولا تزال أقدامهم موروثة من بعدهم فيمن هم لذلك أهل من الأحياء حتى تقوم الساعة ، إن شاء الله ، ولا يعيب تاريخهم دسُ الدسائس ، أو اختلاق الكذابين .

وعند القوم - رضي الله عنهم - أن لكل قدم من الأقدام الأربعة شخصية مستقلة ، وكياناً ذاتياً ، فمن كان على قدم أبي بكر غلبت عليه خصائص أبي بكر ، ومن كان على قدم عمر وضحت فيه ميزات عمر ، وهكذا من يكون على قدم عثمان وعلي ، ثم من يكون على أقدام بقية الصحابة - رضي الله عنهم - بما حفظ عنهم وما لم يحفظ .

وذلك أنهم يؤمنون بالمدد الروحي ، ويذهبون إلى أن روح صاحب القدم الأول ، وكذلك أرواح من ورثوا هذا القدم الشريف من بعده لا تزال جميعاً تمد آخر وارث حي لهم ، حتى يلحق بالملأ الأعلى ، سواء أشاع الله ذكره أو ستر الله أمره ، وأخفى قدره ، والكنوز دائماً مستورة ، وقد تكون تحت الأقدام!!

### حجاب أهل الله :

وكم من قطب فرد جامع ، على قدم رسول الله ﷺ حجبه الله وهو تحت أنظار الباحثين عن القطب الفرد الجامع!!

ربما حجبه الله بطلب الأسباب والسعي على المعاش : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ .

وربما حجبه الله بالفقر وقلة المال : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ .

وربما حجبه الله بالضعف ودقة الجاه : ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ .

وهكذا ، وكثيرا ما يكون الحجاب نفسه هو سبب انكشاف حقيقة الولي أمام أهل القلوب ، وانظر إذا شئت إلى القرآن ، يقول الله عنه : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ وهو هو القرآن ، حجاب لقوم ، باب لآخرين .

ولكن الله لا يحجب وليه بالجهل قط : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، ولا يحجبه بالبلاهة قط : ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ ، ولا يحجبه بالتظاهر بالمعصية قط : ﴿ وَمَن يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ ، ولا يحجبه بالتفاخر بزينة الحياة الدنيا قط : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

فأولياء الله هم المتقون : ﴿ إِنَّ وَلِيََّ اللَّهَ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ . والمراد هنا الصلاحية المطلقة للورثة الشريفة ، ظاهرا وباطنا ، قولا وعملا وحالا .

### من هم أولياء الله الصالحون :

فليس الصالح هو المتكاسل المتواكل الخامل المتخاذل ؛ رأت عائشة رجلا يمشي يكاد يتهاوى ويطلب السند ، فقالت : ما هذا ؟ قالوا : رجل

يتقي ويتخشع ، قالت : كان عمرُ أتقى منه ، وكان عمر إذا مشى أسرع ، وإذا تكلم أسمع ، وإذا ضرب أوجع .

وسأل الرسول ﷺ عن رجل منقطع للعبادة ، من يؤمُّه ؟ قالوا : كلنا نمونه . قال : كلكم خير منه .

أما من أقامه الله في غير مقام الأسباب ، فله حكمه الخاص به عند السادة ، وهم قد يعتبرون الانقطاع للدعوة إلى الله سبباً موصولاً برسول الله ﷺ .

ولكن ليس معنى هذا أن يكون ولي الله مختلاً فخوراً يكاد أن يخرق الأرض أو يبلغ الجبال طولاً ، كأنها خلق من غير طينة البشر ، وتظل تُطلق من حوله شائعات الكرامات المصنوعة ، والأخبار الملفقة ، والاستهواء والاستغفال ، وما قد يصل إلى ما يُخشى منه الشرك أو الكفر الصريح ، من المأجورين أو المتهورين .

ولي الله صورة من رسول الله ﷺ ، أو من صحابته ، كرمًا وجهادًا وعلمًا وفضلاً وأدبًا وزهدًا وتواضعًا وعبادةً ، وانسلاخًا من الحول والطول ، والقوة والفتوة ، والمفاخرة والمكابرة والمكاثرة ؛ انطلاقاً إلى الله تعالى ، ولا شيء إلا الله تعالى .

ولي الله لا يتميز بملبس معين ، ولا بمظهر معين ، ولا بمجلس معين ، ولا بمطعم معين ، ولا بوضع معين ، أو بشيء ينفرد به عن الكافة من الناس ليعرف به !!

رأى عليٌّ رجلاً قد ميَّز نفسه ، وقف يعظ ويرشد ، قال له : من أنت ؟



قال أنا أبو يحيى!! قال: لا أنت أبو «اعرفوني أيها الناس»!! ﴿فَلَا تُرْكُوا  
أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ .

وقد كان أشرف البشر ﷺ ، لا يُعرف من بين أصحابه إلا بما عليه من  
نور النبوة! فلا يكاد يتميز عنهم بشيء على الإطلاق .

إنَّ أول ما يجاهده الصوفية في أنفسهم وإخوانهم هو الرياء ، والرياء  
بكل أوضاعه وألوانه ومراتبه وصوره ، الخفية الدقيقة والواضحة العتيقة ،  
وما دام في الرجل بقية رائحة من الرياء فهو بمعزل عن الله ورسوله ﷺ ،  
وبالتالي هو بمعزل عن التصوف الحق ، وإن صدر بصوفيته أعظم فرمان  
من أضخم الدهاقين والشاهنشاهات!! وإن اجتمع حوله أضعاف أتباع  
المسيخ الدجال!! فالحقُّ حقٌّ ، والباطل باطلٌ .

#### معنى أهل التصريف أيضا :

ويتعلق بهذا الجانب ما يُفهم خطأ من معنى قولهم : «فلان من أهل  
التصريف» ، فمن المسلّمات البديهية في الدين أنَّ الخلق والأمر بيد الله ،  
وليس لأحد قط مع الله شأن صغر أو كبر ، وقد سبق أن فصلنا هذا المعنى  
وبينا أنهم يقصدون بصاحب «التصريف» الرجل الصالح ، الذي وصل  
في مراتب القرب إلى حيث يُجري الله على لسانه أو يده من الخوارق ما  
سبق علمُ الله قديماً بأن يجريه على لسانه أو يده ، فهو جهاز تنفيذي لمراد  
الله القديم ، صنعه الله على عينه ووفر له استعداداً وقابلية معينة ، ورتب له  
أسباباً وأوقاتاً خاصة ، فهو آلة في يد القدر الإلهي يحقق بها ما سبق به  
العلم القديم من غير حول منه ولا قوة ، وإن بدا للناس في صورة المريد

الفاعل ، والحر المسئول ، فهو في ظاهر الأمر متصرف ، وفي حقيقة الأمر هو موجّه منفذ ليس إلا ، والتسمية بظاهر الأمر لا تتنافى مع مقتضى الحقيقة في الواقع ونفس الأمر .

### مثل مع الفارق :

وإليك هذا المثل التقريبي - مع الفارق - الملحوظ :

إذا قَرَبَت مسبارًا من قطعة المغناطيس ، فإنَّ المغناطيس يجذب هذا المسبار إليه ويمغطسه ، فإذا قَرَبَت - بعد هذا - من المسبار الأول مسبارًا آخر ، فإنَّ المسبار الأول يجذبه إليه ، كأنه قطعة المغناطيس نفسها ، مع أنه في حقيقة مجرد قطعة حديد كالمسبار الثاني سواء بسواء ، ولكن القوة التي غشيت المسبار الأول القريب من المغناطيس الأصيل ، أعطته هذه الفاعلية التي لم تكن من طبيعته ولا من ذاته ، وإن سلّبت مقتضاه الحديدي وغيّرت طبيعته الحاضرة ، حتى أثر في ظاهر الأمر في غيره ! مع أنَّ المؤثر في حقيقة الأمر غيره ، أعني أنه أصبح أداة تنفيذية ، لا حول له من ذاته ولا قوة ، فقيوميته فيما يقوم به ، إنما هي بغيره لا بنفسه ، وإن بدا في ظاهر الأمر أنه هو المؤثر في سواء ، ولهذا نسبوا إليه التصريف مجازًا مطلقًا وإنما الفاعل أصلًا هو الله ، وإنما فني العبد وأصبح ربانيًا على قدم المسيح يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ .

وهذا هو التفسير العملي لقوله تعالى في الحديث القدسي المروي في الصحيحين : « وَمَا يَرَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا

وَرَجُلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَهُ وَلَكِنْ اسْتَغَاذَنِي لِأَعِيدَنَّهُ!!

الحمد لله ، وضح الأمر ، وانقطعت اللجاجة!! أما المرضى بالحق على التصوف الحق فيشفئهم الله ، أو يموتون بدائهم العضال!! أو غيظهم القتال .

### أهل الديوان :

ويستتبع ذلك أيضًا السؤال عن «أهل الديوان» من هم ؟

والديوان عند السادة : هو الوادي الأقدس الذي يجمع الله فيه الأرواح المطهرة على رفرف القرب في حضرة الغيب عنده : ﴿مَنْ النَّبِيِّنَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾

بما لهم عنده تعالى من شفاعات ، وما يكرمهم تعالى به من كرامات ، وما يفيضه عليهم وعلى الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم من فيض ومدد ، ومن منح ومواهب وعطايا ، تضيق بالإحاطة بعضها طاقات البشر ، ولا تكاد تتحمل عقولهم ما أعد لهم ولمن بعدهم بل ما يمارسونه من قرّة أعين .

هذا هو الأصل والأساس والقاعدة ، ولا نتعرض لما يفرعه بعضهم على ذلك من أحكام المواجيد والكشوف والمنازلات ، فهذه جوانب شخصية محضة لا نبني عليها الأحكام العامة ، ولا الأصول الجامعة وهي متروكة لأهلها في حدود الشريعة .

وهذا أيضًا من فروع المذهب غير الملزمة ؛ فإن القوم يتركون تحقيق هذه المشاهد المغيبة إلى مجهود السالك ، وهو على مستواه الخاص قد يدرك ما لا يدركه

من هو دونه ، كما أنه قد لا يدرك ما أدركه من هو فوقه ، فالعالم الروحاني له قوانينه التي تتعدد بتعدد الطلاب والسالكين ، وقد تكون في مساتيره أسرار تنوء بها الأفهام والأعصاب ، فهذا عالمٌ وهذا عالمٌ ، ولكل عالمٍ أحكام .

والإنسان العادي حُر في أن يأخذ منها أو يدع ، دون لوم ولا تشريب ، ولكن بلا تحامق ولا تعالم!! فالمسائل التجريبية القلبية فوق مستوى الظن والتخمين .

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ .

\*\*\*

## كَلِمَاتُ مُكَمَّلَاتٍ لِمَوْضُوعِ الْأَقْطَابِ<sup>(١)</sup>

لم أكن أتوقع أن تجد كلمتي العابرة في العدد الماضي، عن الإمام البدوي، ومسألة الأقطاب - كل هذا القبول، وكل هذا الاهتمام؛ فلقد تلقيتُ من بعدها طائفةً كبيرةً من الاستفسارات والتعقيبات، من كل أرضٍ تصل إليها مجلة المسلم في دنيا المسلمين.

ولقد ابتهلتُ إلى الله تعالى أن يجزي الإخوان عني ما هم أهله، وأن يجعلني أهلاً لحسن ظنهم أبداً، وأن يجنبني الغلواء، والتفريط والغرور، وأن يقيني ضلالة الانحياز التعصبي، والتحامل المقيت، ثم لنبدأ كلياًتنا المكملات تجاوباً مع ما تلقيناه من استفسارات وتعقيبات.

### أولاً: لماذا لا نرد عليهم؟

يقول الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ وهذا هو مثلنا الفعلي مع فلول المتسلفه، على مختلف ألوانهم ومراتبهم، وأوطانهم ومقاصدهم، وهذا هو السبب الأول في أننا لم نعد نهتم بالرد على ما يسودون به صُحفهم الأجيّة، من حقد مُدَمَّم، يسيل بكلمات في ريح القيقح، ولون الصديد، لا تحمل إلا الجرائم والتتن، ولا تبعث إلا التفرز والاشمئزاز، ولا تفيد إلا الدلالة الخبيثة على الغل والكيد الملتهب، والعمل الموبق؛ ابتغاء رضوان الشيطان.

فليس فيما يكتبونه ضد التصوف كقيمة أخلاقية أصيلة، وهو مذهب

(١) مقال: غرة ربيع الأول (١٣٨٥ هـ)، ٣٠ يونية (١٩٦٥ م)، العدد الثامن السنة الخامسة عشرة.

روحي فرضته الحاجة إليه ، وحقيقة إسلامية مثالية لا شك فيها - ليس فيما يكتبونه ضده من علم يؤخذ منه ويُردُّ عليه ، ولا منطق يخضع للمقاييس العقلية ، والمعايير المعتمدة عند خلق الله ، ولا فضل أدب أو خلق يهدي إلى عدل أو نصفه ، وإنما هو تحامل حقود متفجر ، واندفاع مغيط هدار ، واتجار متسفل بما لا شرف فيه ولا دين معه ، وما لا علاقة له بإنسانية الإنسان ، إنما هو نوع من إهدار الآدمية ، الذي لا يمارسه إلا محترف تافه ، أو متأزم ملتاث ، أو هدام مدمر بالفطرة المعكوسة .

لكل ذلك رأينا أن نعف عن تتبع هذا الهوس الأهوج ، وتلك الدعاوى المصنوعة ، وهذا الهراء الوقح ، وهذا السباب الساقط السفيف ، وهم يعلمون العلم كله أننا لو واجهناهم بمثل ما اختاروا لأنفسهم من أسلوب حديث وكتابة ، لأحطناهم بعاصفة قاصفة حمراء ، تهيج بالدخان واللهب ، وتهدر بالجرم والحمم ، لا تُبقي ولا تذر ، ولكننا نعلم أن هذا النوع من الاهتمام بهم سيستغلونه في مضاعفة تخصصاتهم من المال الحرام ، والاستزادة من السحت الخبيث ، الذي يتلقونه ثمنًا لما يقيئون على أوراقهم من أقدار وأوساخ ، ودم مشوب ، وبهذا نخدمهم لدى ساداتهم ، وأولياء نعمتهم ، والذين من أجلهم يخونون أماناتهم ، وهم يعلمون .

وأهم من ذلك ما قد يتخللونه من أنهم قد أصبحوا شيئًا يُذكر ، ولعلمهم الآن يكذبون وهم يعلمون أنهم يكذبون ، فيصبحون إذا التفتنا إليهم ، يصدقون كذبهم ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا : ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ .

لقد مددنا أيدينا إليهم ، ودعوناهم إلى كلمة سواء ، فَعَلَّوْا وَأَبَوْا ، ثم هادناهم ، فَضَلُّوا وَغَوَّوْا ، فانشغلنا بما هو أكبر ، وما هو أخطر من القضايا الرهيبة التي تحيط بالدين ، وتكاد تأتي على الإسلام والمسلمين ، وقد ظهر للناس أنَّ من أصول وظيفتهم صرفَ الناس إلى توافه الأمور ، وشغلهم بالساقط الهزيل من الخلافات الفروعية ؛ ليتمكن أعداء الدين من انتهاز هذه الغفلة ، والتمكين للخيانة ولو بنفس اسم الدين المفترى عليه .

ومع هذا فكلما لاح أمرٌ ذو بال ، يستوجب الردَّ عليهم أجمعناهم ، وألْقَمَناهم ما هم أهلُه من القمامة والوحل - ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة - مع اليقين المطلق بأننا - بحمد الله - لن نتبعهم على باطلهم إيماناً واحتساباً ، وهم لن يتبعونا على حَقِّنا اتِّجَاراً واكتساباً ، والفرق مثل الصبح ظاهر ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم حتى يأتي وعد الله ، ثم لنقف منهم عند قول الشاعر :

اصبرْ على كيدِ الحقود      فإنَّ صبرك قاتلُهُ  
والنارُ تأكلُ بعضها      إن لم تجدْ ما تأكلُهُ

### ثانياً : المكاشفاتُ والحقائقُ الروحيةُ :

قلنا إنَّ مسألة الأقطاب الأربعة وما هو من بابها ، أو ما يتعلق بها ، إنما هي من الأمور القائمة في بعضِ أصولها على سُنَنِ شرعية ، كالأحاديث التي وردت في : «الأخيار» ، و«النجباء» ، و«المفردون» ، و«الضعفاء» ، وفي بحث سابق أوردنا أكثرها ، وقد تتبعها الإمام السيوطي وجمعها في رسالة مطبوعة الآن .

ثم هي في بعض الأصول راجعة إلى الحركة الروحية في العالم الثاني؛  
فأساسها الكشف، وما يليه من مواجيد وأذواق، ومستفاض الغيب من  
العطايا والمواهب، والفتوح والأسرار ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ .

فهي إذن من الخصائص، والخصائص فضائل وزيادات، مَنْ أخذ بها  
أفاد، ولعل مَنْ تركها لم يفته الخير كله .

وَمِنْ ثَمَّ لم أتعرض للتفاصيل كلها، ولكنني تعرضت لما اعتبرته أساسيًا في  
القضية، أما - مثلاً - أين يكون مكان القطب الفرد، وأين يجلس الإمامان  
حوله؟ وأين الأبدال؟ إلى آخر هذه الجزئيات، فهو مما لا يتعين معرفته، ولا  
يضرُّ الجهل به شرعاً ولا عرفاً، أو هو مما لا يهتم به إلا الخاصة، ولكل منهم  
في هذا المجال مكاشفاته التي قد تختلف مع مكاشفات غيره، وإن كانت  
الحقيقة في كل واحدة لا تتغير، ولنضرب مثلاً :

لو أَنَّ رجلاً وقف على قمة الهرم ونظر إلى القاهرة، لرأى أنها تبدأ من  
السفح ثم المزارع، ثم الأبنية ثم النيل، ثم الأبنية الأخرى، إلى حيث  
تنتهي بجبل المقطم .

ولو أَنَّ رجلاً آخر وقف على جبل المقطم، لرأى القاهرة تبدأ وتنتهي  
تماماً على عكس الصورة التي رآها سابقه من أعلى الهرم .

ولو أَنَّ ثالثاً وقف على برج الزمالك، لرأى منها ما لم ير سابقه،  
وهكذا تتغير المشاهد بتغير المواقف والمراتب، دون أن تتغير الحقيقة التي  
يراها الجميع، وكُلُّ في موقفه صادقٌ في مشهده ومكاشفته .

والمعينة في هذا المقام هي الفيصل، وخبر الصادق الثقة فيها صحيح عند



أهله ومحارمه ، وإن اختلف مع غيره ، على ما بينت لك من مثل ، فإن شئت الحكم السليم ، فاسلك واجتهد فإذا بلغت وشاهدت ، فقد قطعت جبهة قول كل خطيب ، ويكون ما أدركته أنت هو الحق بالنسبة لك في مقامك ذاك ، ولعلك لو واصلت حتى وصلت لشاهدت جديدًا ، وأدركت في مقامك الثاني غير ما أدركته في مقامك الأول ، دون أن يتناقض معه ولا مع مشاهد غيره من أهل الله ، فمن المسلم به علميًا ، أنَّ المشاهد تختلف باختلاف الزوايا والمواقف من الشيء المنظور وهو واحد لا يتغير .

وعندي - مثلاً - أنَّ مكانَ أو مقام القطب الفرد ، لا يتعين أبدًا أن يكون الكعبة المشرفة ، فهو حيث هو من أرض الله ، معلق القلب بأشرف بقع الأرض ، وأقدس أقداس الإسلام ، فما زالت روحه حوامة بهذه المعاهد ، طوافه بهذه المشاهد ، لا تبرحها أو تكاد ، فالكعبة مقامه الروحي ، وهي عرش قلبه ومثواه ، وإن بعد عنها هيكله ومبناه .

وفي هذا الفلك تدور معاني الحقائق في بقية مراتب ومقامات أولياء الله .

### ثالثاً : لماذا كان الأقطاب أربعة؟

قلت : إنَّ الأقطاب الأربعة يكونون عند القوم على أقدام الخلفاء الأربعة ، وتركت ما وراء ذلك ، فإني لم أكن أكتب استقصاء ، وإنما هي دلالات ، وإشارات ، وكررت أنَّ الأصل في ذلك مذاهب العقول ، والمنازلات الروحية مؤيدة ببعض الوارد من إشارات وعبارات ، فالأمر عند أهله ملزم ، أو كأنه كذلك ، بما ترجح لديهم من دليل خاص وعام ، ولا كذلك الشأن مع غير أهله ، فهي بالنسبة لغيرهم من قضايا العفو المباح .

وعندنا - والله أعلم - أنَّ المدد سابق ، وأنَّ أعلى مقاماته في الأزل

مخصوص بسادة البشر ، وهم أولو العزم من الرسل ، وأنَّ سيد أولي العزم رسول الله ﷺ الكنز الجامع لفرائد يتامى اللثالي ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

ثم يكون الترتيب الزمني ، فإذا نوح ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى عليهم السَّلام .

ولا أعرفُ مانعاً شرعياً أو عقلياً يعارض قولنا بأنَّ الراشدين الأربعة كانوا على أقدام أولي العزم الأربعة ، من باب القدم المحمدي ، فكل منهم جمع إلى المحمدية خصيصة ما امتاز به نبي من الأنبياء ، فهذا غلبت عليه الخصائص الإبراهيمية ، وذاك غلبت عليه الخصائص النُّوحية ، أو الموسوية أو العيسوية ، وهكذا ، وقد يكون ترتيبهم في الخصائص موافقاً لترتيبهم الزمني .

وبالتالي يكون الأقطاب الأربعة على هذه الأقدام نفسها من باب القدم الصحابي .

فإذا انطلقنا مع المدد إلى مقام سبق السبق ، واستحضرنا رابطة الأرض بالسماء وعلاقة الحس بالمعنى ، ومنزلة الملاء الأعلى من الملاء الأدنى ، وأحكام عمومات ترابط الوجودين ، قلنا - والله أعلم - إنَّ أقدام أولي العزم الأربعة ، على أقدام الملائكة الأربعة : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل .

وهنا يبدو لنا أنَّ كل واحد من الأقطاب الأربعة ، له قدم روحاني ملائكي ، يتنزل إلى قدم نبوي عزمي ، يتنزل إلى قدم صحابي خاتمي ، يتنزل إلى قدم قطباني غيبي ، يدور في الفلك المصطفوي ظاهراً وباطناً ،

شريعة وحقيقة ، على سرٍّ من قُدسِ الغيب ، لا ينبغي إلا لأهل الله .

فيتنزل المددُ بأمر الله من معاهد العزِّ في سدرة المنتهى - فضلاً وعدلاً - مفاضاً على أشرف أهل السماء والأرض سيدنا المصطفى ﷺ ، ثم على أشرف أهل السماء من الملائكة : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل ، ثم يُفاض على أرواح أشرف أهل الأرض من أولي العزم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، ثم على أشرف أهل الإسلام من الصحابة : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، ثم على أشرف أهل الوقت من الأقطاب الأربعة الأحياء ، شاملاً أرواح مَنْ سبقهم في مقاماتهم من السلف الصالحين ، رجلاً بعد رجل ، إلى صاحب الوقت .

ثم يعمُّ المددُ متنزلاً على هذه الصورة ، طبقة بعد طبقة ، من نحو هذه المراتب ، حتى تصل الرحمة الكبرى إلى المصطفين من خلق الله ، على ما هو في مراد الله ، وكما سبقت به المشيئة والقدر .

وبهذا يتضح السرُّ في اختيار الأربعة دون عدد آخر من الأعداد ، وهذا ما ألحف عليه الأخ صاحب السؤال ، والله أعلم .

أما أن هؤلاء الأربعة يتصرفون في الكون مع الله - نستغفره ونتوب إليه - فقد سبق تفصيل ذلك وتوجيهه .

وقد يتطوع متمسلف معقد مصدور ، فيملاً الأرض صخباً ولغباً مدعيّاً في هذا الكلام ، دعاواهم المكرورة الممرورة ، وقد مهدت لكلامي هذا بما فيه الكفاية ، لمن لم تغلب عليه الغواية ، وهذا علّمنا الذي لا نجبر أحداً عليه ، ولا يملك أحدٌ أن يجبرنا على تركه ؛ فإن تركه عندنا نقصٌ ونقيصة .

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٠﴾ .

#### رابعاً : حول الاصطلاحات الصوفية :

ويظهر أنَّ بعض إخواننا - هداهم الله - لا يزالون عند القول الجاهل الأبله ؛ بأنَّ كل كلمة أو عبارة ، أو اصطلاح لم يُذكر في القرآن والسنة ، فهو أكثر من بدعة ، وأكبر من كفر ، ولو تتبعنا هذا لما بقي على وجه الأرض شيء إلا وهو بدعة أو كفر .

ولو صدر هذا القول من غير أهل قرننا لَعَذَرْنَاهم ، ولكنهم من أهل جلدتنا ، يعيشون في زماننا ، وينطقون بألسنتنا ، ولكنهم يفكرون بعقول ما قبل التاريخ .

وقد قلنا إنَّ مجرد التسميات والاصطلاحات لا تغير شيئاً من الحقائق الذاتية في واقع الأشياء ، وقلنا إنَّ الأمة أجمعت سلفاً وخلقاً على اتخاذ التعريفات والمصطلحات اللازمة في كل طائفة ولكل علم وفن بحسبه ، وقلنا إنَّ بين أيدينا عشرات القواميس من التسميات والمصطلحات العلمية والفنية التي لم تَرِدْ على لسان بشر من قبل ، وقد ارتضتها الأمة واعتبرتها ضرورة لازمة ملزمة ، لا هي كفر ، ولا هي بدعة .

فليس بدعاً إذن أن يكون للصوفية مصطلح معين يراد به معنى معين ، سواء ورد أو لم يرد في تقويم مفردات اللغة ما يعبر عنه ، فقولهم مثلاً : «قطب ، أو بدل ، أو خمر ، أو سكر ، أو صحو . . . إلخ» يريدون به التعبير

عن المعاني الشريفة والأحوال الروحية التي يجدها المقبل على الله،  
والسالك إليه، كل ذلك أمرٌ كما ترى عادي للغاية، لم يقل عاقل ولا  
مجنون من قبل، إنه يتحتم أن يكون من نصوص الوارد في الكتاب  
والسنة، وهما لم ينزلا للتعريف بالأسامي والمصطلحات.

وها نحن أولاء نجد هذه المصطلحات تروج بها علوم الدين واللغة،  
فنجد في الفقه والأصول مثلاً اصطلاح: الفرض، والواجب، والسنة  
بأقسامها، والرغبة، والفضيلة، ونجد اصطلاح: «الحلال والحرام،  
والمكروه، والمندوب، والمباح»، ونجد اصطلاح: «الكتاب والسنة،  
والإجماع، والقياس، والاستنباط، والاستصحاب والاستئناس»، ونجد  
في التوحيد اصطلاح: «الواجب والجائز والمستحيل»، وفي الحديث  
اصطلاح: «الصحيح والحسن والضعيف بأقسامها»، ونجد اصطلاح:  
«المرسل والمسلسل، والمعنعن والمرفوع، والموقوف، والموضوع، والمعضل  
والمعتضد... إلخ»، وفي النحو نجد اصطلاح: «المعرب، والمبني، والمبتدأ  
والخبر، والحال، والتمييز، والتحذير، والإغراء، والاستثناء... إلخ»،  
ونجد عشرات المصطلحات الخاصة في العروض والصرف والوضع  
والمنطق وغيره من العلوم الموصولة أساساً بعلوم الدين، مما يطول  
إحصاؤه واستقصاؤه، ولم يعترض عليها مخلوق عاقل أو عالم.

إذن: فالحملة على اصطلاحات الصوفية بالذات حملة حمقاء بلهاء، مغرضة  
حانقة، لا يسيغها علم، ولا عقل، فهي ساقطة الاعتبار، مردودة بالطبع،  
فاقدة القيمة والوضع، لا تستوجب شيئاً من الاهتمام على الإطلاق.

**خامساً: المسلم والصوفي :**

وقد كثر ما وُجِّهَ إليَّ من هؤلاء ، والمغترين بهم ، يسألونني ما إجماله : إذا كان الصوفي هو المسلم ، فلماذا نترك التسمية بالمسلم ونستمسك بالتسمية بالصوفي؟

ولطالما أجبت عن هذا الاستشكال المكرر في محاضراتي ودروسي ، وهو أتفه من أن يكون استشكالاً ، لكنه شيء من التشغيب ، وإضاعة أوقات الناس فيما لا خير فيه ، من مدمني الاستشكالات والمبوتئين بداء الاعتراض .

ويا كثر ما قلنا : إنَّ التعبير بلفظ المسلم تعبير عام ، يشمل أهل القبلة كلهم ، فالعاصي مسلم ، والطائع مسلم ، والعالم مسلم ، والجاهل مسلم ، والشرقي مسلم ، والغربي مسلم . . إلخ ، وطبيعة الحياة تقتضي التخصيص والتعريف والبيان ، فيقال مثلاً : مسلم طائع ، أو مسلم مخالف ، أو مسلم جاهل ، أو مسلم عالم ، كما يقال مسلم شامي ، ومسلم عراقي ، ومسلم إفريقي ، ومسلم أمريكي ، أو كما يقال : مسلم نجار ، ومسلم حداد ، ومسلم موظف ، ومسلم تاجر ، ويقال كذلك : مسلم سلفي ، ومسلم شافعي ، ومسلم مالكي ، فكذاك أيضاً يقال : مسلم صوفي أو شاذلي ، أو نقشبي ، أو إدريسي أو خلوتي ، أو رفاعي . . إلخ» .

فهو تخصيص بعد تعميم ؛ للبيان والتحديد الحتمي ، ولذلك أصلٌ في نحو قول السلف : مسلم مهاجري ، ومسلم أنصاري ، ومسلم صحابي ، ومسلم تابعي ، كما كانوا يقولون : قرشي ، ومكي ، ومدني ، وأوسي ، وخزرجي ، دون أي استشكال .

وليس في شيء من ذلك تزكية ، أو استعلاء ، أو تفضيل ، أو ابتداع ، وإنما هو البيان العادي ، والتعريف الضروري ، الذي لا بد منه طبعاً وعقلاً ، وشرعاً ، للإحاطة بالنسبة إلى المذهب ، أو العقيدة ، أو الوطن ، أو القبيلة ، أو العمل ، أو غيره ، في المحيط الإسلامي الجامع .

فهل بقي بعد هذا استشكل لمدمن متعالم ؟ أو اعتراض لمغرور موتور ؟

#### سادساً : هدية المولد النبوي :

يشهد الله ، لم يكن اليوم بخاطري ، ولا في طاقتي كتابة كل ذلك ، ولكنني لأسباب خاصة وعامة ، كنت عقدت العزم على أن أكتفي في هذا العدد ، بأن أهدي إلى سيدنا رسول الله ﷺ ، في مناسبة ذكرى مولده الشريف قصيدة مما سجلته في رسالتي القديمة : «المورد : في ذكرى المولد» ولهذه القصيدة قصة :

فقد كنتُ في حياة العارف بالله سيدي وشيخي ، الوالد رحمه الله ، شاباً ميالاً إلى «الإنشاد» مفتتاً به ، مفتتاً فيه ، متخذاً لذلك دستوراً مما سبق أن أوردته بالمسلم من أدلة مقنعة ممتعة ، ومتهيماً بالإشراقات والمعاني الفاتنة المرقصة في قول الشاعر الصحابي :

أما ورب الكعبة المستورة      وما تلا محمد من سورة  
والنغمات من أبي «محدورة»<sup>(١)</sup>      لأفعلن فعلة مشكورة

(١) أبو محدورة : أحد مؤذني رسول الله ﷺ المشهورين بجمال الصوت وحسن النغم . (المسلم) .

وكنّت ذات ليلة مع الإخوان بدار المرحوم الحاج عبد الحميد دويدار ،  
من كبار أعيان «جزيرة المساعدة» بالواسطة ، وتغنّى المنشدون بذكريات  
المولد الشريف ، وهاموا ، حتى وقفوا يرددون قولهم :

صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ      صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فإذا بي أنطق بلا وعي ، وكأننا أقرأ من كتاب ، مرتجلاً هذه القصيدة ،  
وأنا في شبه غيبوبة ، أقول ، والإخوان يرددون ، صلى الله على  
محمد . . . » ، وكان أخ من الإخوان هو «المرحوم الشيخ محمود الصعيدي» ،  
قد أدركني في حالة خاصة ، فأخذ يكتب ورائي ، وكان مما كتبه هذه  
الآبيات الخفيفات ، التي أزجيتها اليوم تحيات زاكيات طيبات مباركات ،  
إلى أشرف أهل الأرض والسموات ، دون أن أمس بيتاً منها بتنقيح أو  
تعديل ؛ محافظة على صورتها المتواضعة التي أجراها الله على لساني ، كما هي  
في وقتها بلا حول مني ولا قوة :

وُلِدَ الْمُخْتَارُ طَه	وُلِدَ الْمَعْنَى الْمَكْرَم
وُلِدَ السَّرُّ الْمَجْلَى	وُلِدَ الْكَنْزُ الْمَطْلَسَم
وُلِدَ الْمَهَادِي عَلَيْهِ	رَبَّنَا صَلِّ وَسَلِّمْ
مَرْحَبًا بِالثُّورِ يَسْرِي	كَاشَفًا مَا كَانَ أَظْلَم
هَذِهِ الْبُشْرَى تَجَلَّتْ	وَبِهَا الْغَيْبُ تَكَلَّمَ
وَبِهَا الْكُونُ تَغْنَّى	وَبِهَا الرُّوحُ تَرْنَم
يَا نَبِيَّ اللهِ : صَبَّ	فِي هَوَاكُم أَنَا مُتَّعِرَم
أَلْهَمَ الشُّوقُ فَوَادِي	وَفَوَاذُ الصَّبِّ يُلْهَم



لَسْتُ أَهْلًا لِهَوَاكُم	وهوَاكُم خَيْرٌ مِّنْ
غَيْرِ أَنِّي فِي حِمَاكُم	لَا جِئْتُ، وَالضَّيْفُ يُكْرَمُ
أَطْلُبُ الْقُرْبَ وَأَدْعُو	وَمَعَانِي الْقُرْبِ أَعْظَمُ
يَا إِلَهِي: أَنْتَ أَدْرِي	يَا إِلَهِي: أَنْتَ أَعْلَمُ
عِبْدُكُمْ يَشْكُو وَيَبْكِي	أَيْنَمَا وَلَّى وَيَمَّ
مِنْ ذُنُوبٍ وَعَيُوبٍ	قَدْ أَتَاهَا مَا تَأْتُمُ
سَالِمِ النَّاسِ وَلَكِنْ	مِنْ أَذَاهُمْ لَيْسَ يَسْلَمُ
فَاهْدِهِ فِي كُلِّ حَالٍ	لِلَّتِي عِنْدَكَ أَقْوَمُ
وَأَغْنِهِ وَأَعْنِهِ	وَتَعَطَّفْ وَتَكْرَمْ

\*\*\*

## حدثُ الأحداثِ في تاريخ الجزيرة العربية الوهابية والاستعمار، والصوفية والشيوعية !! حقائق وفضائح ومفارقات<sup>(١)</sup>

### أولاً: الصوفية والشيوعية:

واحدةً من الصحف المستأجرة للوهابية في مصر - بل التي أنشأتها الوهابية في مصر، في عهد الغفلة - دأبت في أعدادها الأخيرة على الكتابة المتكلفة المتورة الباهتة، تدّعي أنّ الصوفية دعوة شيوعية !! ولم نعبأ برد هذه الفرية المفضوحة ؛ لأنها أتفه من أن يُعنى بها أحد، والناس يعلمون أنّ الشيوعية مذهب اقتصادي مادي انحلاي، تزعم الدعوة إليه «كارل ماركس» في العهود الأخيرة، من عصرنا الحاضر، ونقّذه «لينين» في روسيا، ومن بعده «ستالين» إلخ.

ويعلم الناس كذلك أنّ الصوفية دعوة روحية ربانية، نشأت مع الأديان السماوية، وترعرعت في ظل الإسلام، كأرقى مستوى فيه، من عهد النبي ﷺ.

فلا يوجد بين الشيوعية والتصوف أي رابط، لا في الأصول ولا في الأهداف، ولا في الوسائل، لا قديماً، ولا حديثاً، ولا مستقبلاً.

(١) غرة ربيع الآخر (١٣٨٥) - ٢٩ يولية (١٩٦٥م)، العدد التاسع، السنة الخامسة عشرة.

**الشيوعية :** إباحية مادية إلحادية : في أصولها ، دموية هدامة وحشية في وسائلها ، جبارة طاغية فاجرة في أهدافها ، لا تعترف بالإنسان ولا بالرحمن .

**والصوفية :** إيمانية روحانية إلهية في أصولها ، إنسانية تعبدية أخلاقية في وسائلها ، متسامية ببناء أخروية في أهدافها ، تحترم الإنسان ، وتققدس الرحمن .

وشتان بين شيوعية حيوانية أرضية ، لا أخلاقية ، مُعْرِقة في الكفر والتدني والإسفاف ، وبين صوفية روحانية أخلاقية ، معرقة في الإيمان والترفع والتنزيه .

وشتان بين قديم الصوفية المُعْرِق ، وبين جديد الشيوعية المغرق ، وفرق ما بينهما ، أبعد من الفرق ما بين المغرب والمشرق .

ومهما أصاب الصوفية من مدسوس ودخيل ، ومهما لفَّ الشيوعية من تغيير وتبديل ، فلن يلتقيا أبداً حتى يلج الجمل في سمّ الخياط ، والجامع بينهما جامع بين الجمر والبرد ، إما جهلاً ، أو غيظاً ، أو تجنّياً ، أو التياتاً !!

فكل محاولة للربط بينهما تضليل مفضوح ، وحقد مسفوح ، وتدمير مجنون لبقايا معاني العلم والعقل ، والجسد والروح .

### ثانياً : لماذا لم نردّ عليهم أيضاً ؟

إنَّ كل ما يكتبه هؤلاء الناس ، إنما هي كلمات مكررات محفوفات بمجوجات متوقعة ، لا تزال تقحم في كل مناسبة ، ويلقى بها في كل مجال ،

وَتُقَدَّم عند كل مسألة ، بعد أن تشوه تشويهاً مخزياً ، وتمسخ مسخاً شائئاً ،  
وَتُحْمَل على غير وجوهاها ، وتوجه إلى غير مقاصدها ، منذ كانت  
الوهابية ، حتى اليوم .

فإذا تتبعنا مثلاً كُلَّ ما كتبه هذه المجلة الوهابية الموتورة ، وما  
استفرغه كاتبها على صفحاتها من حقد أسود ، وغُلَّ أزرق ، ومرارة  
ممرورة ، من قبل ومن بعد ، لما صادفتْ إلا قولاً واحداً مُعاداً ، وحديثاً  
كبطن النعل ، يمشي على كل أرض ، وينال من كل تراب ، ويستسقي من  
كل وحل ، ثم هو لا يرتبط بقانون علمي ، ولا بضمير إنساني ، ولا  
بمنهج ديني ، ولا بما تواضع عليه أهل الفضل من أخلاقيات أو مثل أو  
قيم !! ولا حتى بمجرد الحكمة وبعد النظر .

ومثل هذا الركام من التلف العلمي والفكري والديني ، ليس جديراً  
بأي نظر ، أو تعليق ، أو توجيه ؛ فليس فيه مكان للتصحيح ، ولا هو قابل  
بطبعه للمناظرة .

بل إنَّ تناقض عناصره ، واضطرابها ، وتنافرها وتهافتها ، وافتعالها ؛  
هو الحكم الذاتي النافذ فيها وهو القاضي عليها ، أشبه شيء بكومة السجاد ،  
لا تزال تتفاعل من الداخل وتهالك ، حتى تتحول إلى عنصر غريب من  
الإنتن والأملح ، يُلقَى في جذور النبات الحي ؛ ليزداد ببعضه قوة ، ثم  
يتحلل باقيه ضياعاً في مسارب الأمواء .

لذلك لم نشأ أن نعطي هذا السَّفة الجديد من دعوى الربط بين تصوف

المسلمين ، وشيوعية الملحددين ، أيّ اعتبار ، فلا جامع بينهما في عقل عاقل ، ولا في علم عالم ، وأيّ اعتبار لا حقيقة له في العلم ولا في العقل ، ليس جديراً بشرف الرد عليه ؛ تقديرًا لشرف العلم وشرف العقل ، وليس جديراً بالرد عليه أيضًا ؛ رحمةً بعقول كُتّابه ، ونفوسهم ، فمثل هذا التخليط والتغليط ، والتشغيب والتكذيب ، لا يصدر عن نفس سوية ، ولا عن عقل طبيعي ، ولا عن علم معتبر ، وعندئذ يكون الردُّ نوعًا من الإغراء بتخيُّل بعض الصواب ، أو الغرور بالإحساس بالشيئية والأثر ، فنكون قد جنينا عليهم جنايتنا على العلم والفضل ، ومعقولية الأشياء ، وإلى نحو هذا أشرنا في العدد الماضي من المسلم .

وشيءٌ آخر : هو وقتنا الذي ينبغي ألا يُهدر ، وفي القرآن المجيد مَثَلُهُمْ : ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ فلن يجزونا إلى معركة ضائعة .

### كيف عرفت الوهابية :

لا أكتبُ ما أكتب عن الوهابية ، كتابةً المقلد ، أو المنعطف ، ولكن كتابة العارف الفاحص ، ففي أعقاب الحرب العالمية الأولى ، أغرت الدولة الإنجليزية ، عبد العزيز بن سعود سلطان نجد ، بغزو أرض الحجاز ؛ تخلصًا من الشريف حسين بن علي الهاشمي ، حاكم الحجاز الذي كان يطالب الإنجليز بموعدهم معه في استقلال العرب ، في مقابل خروجه على دار الخلافة .

وأمدَّ الإنجليزُ ابنَ سعود بالأسلحة والخبراء ، وغدروا بالشريف حسين ، وتم للسعوديين الاستيلاء على الحجاز في أوائل العشرينيات من هذا القرن .

وكان المال والنفوذ الإنجليزي ، قد عملا عملهما ، ففتحت جريدة الأهرام صدرها ، وفي صفحاتها الأولى كان يكتب الشيخ رشيد رضا - غفر الله له - مؤيدًا الفتح الوهابي والدعوة السعودية ، ضد الهاشميين ، والجمهور المسلم .

وكنت طالبا بالأزهر ، أيامئذ ، وملء إهابي فتوة وصبا ، وقد اجتمعت لي وقتئذ الزعامة السياسية لبعض الشباب ، اشتراكًا في الحركة الوطنية ، التي كانت قائمة في مصر بين سعد زغلول ، وعدلي يكن ، وبقايا الحزب الوطني الذي كنت أكثر ميلًا إليه وانفعالا به ، واندفاعًا في تياره بالإيمان ومتابعة الوالد .

وشخصت في رفقة لي ، إلى الشيخ رشيد رضا ، أسأله عما لم أكن أعلم من أمر السعودية والوهابية ، التي ملأ الدنيا عنهما كلامًا ودعاية ، وهناك دفع إليَّ رسالة كان قد طبعها على نفقة ابن سعود - وكان يوزعها بالمجان - لعل اسمها كان «التحفة النجدية» وكثر ترددي عليه ، وسماعي منه ، ورضاه عني ، ورضاي عن كثير مما يقول على علاته ، وكان هو السفير الأول لهذه الدعوة بمصر ، ولكنني عدت فشممت منه ريحًا لم تعجبني بعد ، أدركت فيه تحاملاً عشوائيًا على جانب ، وانحيازًا بلا تحفظ إلى

جانب آخر، ومحاولة لفرض الرأي دون أي اعتبار، ووجدتني غير مطمئن معه إلى اتجاه معين من الاتجاهين، وبخاصة بعد أن وجهت إليه على صفحات الأهرام سؤالاً، أستوضحه فيه تفاصيل الرأي الشرعي، فيما كان يُشاع آنئذ من اتجاه نية الوهابيين إلى هدم القبة النبوية، بعد أن نهبوا كنوز الحرم والقبر الشريف، وكانت من أندر ما في الدنيا من التحف والنفائس، وشاع أنهم نقلوا ما نقلوا منها إلى قصورهم - وبعضها لا يزال - وكان شرطي أن تكون الإجابة شاملة لنص مسبب صريح من كُتب السنة، يعيّن هدم القباب، مذكورة باللفظ أو مرادفه، فليس في محفوظ السنة ما يتحدث عن القباب بالنص أو يتعرض لها، رغم قدم وجودها تحت الأنظار، ومعرفة العرب لها قبل الإسلام، وفي هذا وحده ما يهدم حجة القائلين بهدم القباب؛ إذ لا مجال هنا لتطبيق عمومات الأحكام، وجسم الشيء المعين بخصوصه موجود مشهود لم ينص عليه.

كان هذا يومئذ رأيي، وكان رد الشيخ رشيد رضا ماضياً على الأسلوب الوهابي، الجامع بين مجرد العنف في التعبير، مع مجرد التعميم في الحكم، فلم أقنع، وقررت أن أنصف نفسي وأن أخرج من حيرتي، بدراسة المذهب والتاريخ الوهابي السعودي دراسة طالب الحقيقة.

والتقيت بمن كان الشيخ رشيد قد أقنعهم برأيه أو كاد من العلماء، كالمرحوم الشيخ الزنكلوني - وعندي بخطه كتاب خطير يبين فيه حقيقة أكبر بوق وهابي كان بالقاهرة بعد رشيد رضا، وإنما يمنعني من نشره احترام الموت، فلا زال فينا بحمد الله خُلُق - كما التقيت بالشيخ عبد المجيد سليم،

والشيخ سرور نعيم وغيرهم ، واستعنت بتوجيهاتهم ، في تحقيق رغبتى ، وكان الأزهر قد ألغى امتحاني هذا العام أنا وبعض الطلبة ؛ لانشغالنا بالسياسة وما كان يسمى وقتئذ «بالمطالب الأزهرية» ، فاتسع وقتي وتوفرت على دراسة التاريخ المذهبي للسعودية الوهابية «أو العكس» ، وخرجت منه مقتنعا اقتناعا إيمانياً منصفاً ، طالباً وجه الله ، بما يأتي :

**أولاً :** أنَّ الوهابية والسعودية ، كَفَّان : تمثل إحداهما الجانب السياسي ، والأخرى تمثل الجانب الديني ، وكلتاهما تكمل الأخرى في طلب الدنيا ، ولا تستغني عنها ، ولا تحيا إلا بها ، ومن هنا جاء الصهر والنسب الحسي والمعنوي بين أسرة ابن عبد الوهاب ، وأسرة ابن سعود ، ومن هنا جاء بالتالي تقاسم الأمر بينهما لهذا البيت رياسة الدين والفتوى ، ولذلك البيت رئاسة الحكم والتنفيذ ، كما هو ماض حتى الآن ، وإن يكن الفتور قد أخذ بعض طريقه إلى البيتين بحكم التطور ، والاحتكاك الباطني في سبيل الحفاظ على المجد الزائل .

ومعنى هذا أنَّ الوهابية والسعودية شيء واحد ، إذا أطلق لفظ منهما فإنه يدل على الآخر ، من باب الاصطلاح وظاهر الأمر ، وإن خالفه الباطن في بعض الأحيان .

**ثانياً :** أنه لم تكن الدعوة الوهابية أصلاً للإصلاح الديني ، ولا كانت أبداً لوجه الله وحده ، كما أذاعوه ، أو يذيعونه عنها ، وكما صدقه أو يصدقه بعضهم بحسن نية ، أو بسذاجة وغفلة ، وإنما كانت الوهابية دعوة سياسية في غلاف ديني ، أريد بها الدنيا ، ومدُّ رواق السلطان وهيمنته باسم الدين ، ومنح الدماء المراقبة في سبيل



التمكين للملك وتوسيعه ، صفةً الشرعية المزيغة ، تنفيذًا للقاعدة التي تقول : من لم يكن وهابيًا فهو بالقطع مشرك أو كافر ، وإن لم يضيع من حقوق الإسلام ذرة ، ثم هو بالتالي هَدْرٌ ، حلال الدم والعرض والمال ، شأن مشركي الجاهلية الأولى سواء بسواء ، لا يشفع له قول ولا عمل من أصول الإسلام وفروعه .

وبهذا الحكم الفاسد الباطل ، الأحمق الجاهل ، أخرجوا هذه المئات من الملايين من أهل القبلة من الإسلام بغير علم ولا هدى ، واستحلُّوا منهم ما حرَّم الله بغير سلطان أتاها ، وهو ما لا يسيغه منطق ولا علم ولا دين : ﴿ قُلْ ءَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ ۚ أَمْرٌ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ .

**ثالثًا :** هيكل الدعوة الوهابية يقوم على فكرة رمي جميع أهل القبلة بالشرك أو الكفر ، وعلى تأكيد قضية التجسيم والتشبيه والمكانية ، ثم تأسيسًا على ذلك يعود فيقوم على نزع القدسية عن أشرف البشر وأكرمهم على الله ، واعتباره ﷺ واحدًا من أفراد البشرية ، كل ميزته تبليغ الرسالة ، ثم هو ﷺ بعد هذا ، لا يتسم بميزة ، ولا ينتسب إلى معجزة ، ولا يعرف بخصيصة أو فضيلة ، ولهذا نزعوا عنه أساس التمجيد ، وهو العصمة ، واعتبروا اغتازه ﷺ والتورك عليه دينًا من الدين ، كما اعتبروا تعظيمه وتوقيره وحبّه ، ضربًا من الخرافة والخبيل ، وانفلاتًا إلى الشرك من التوحيد ، حتى اعتبروا قبره ﷺ صنمًا تحرم زيارته .

فالشرك عند الوهابية ، هو مسمار جحا ، الذي يقحمونه على كل أمر ، ويربطونه قسراً وافتعالاً بكل حقيقة ، وإن كان بينهما فوق ما بين المشرقين من تباعد .

ثم يتطور عدم التوقير إلى تجريح وتحقير وقح ، يبدأ من أهل البيت النبوي منسحباً على أحبابهم - ومنهم الصوفية بوجه خاص - ثم يمضي منسحباً على كل ذي رتبة أو خصيصة من رجالات الإسلام ، حتى لا يبقى منهم بلا تجريح ولا تحقير ولا تهمة في السابق واللاحق إلا الوهابية لا غير ، لا فرق بين عالم أو حاكم أو مجتهد أو داعية أو محدث أو فقيه أو مفسر أو متكلم ، أو ولي من صالحي المسلمين .

فالوهابية بهذا لون خبيث من الشعوبية الجاهلية الفتاكة بوحدة الإسلام ، المفرقة بين أمة لا إله إلا الله ، الهابطة بمستوى كل شخصية ظهرت أو تظهر في الله ، ولهذا يستغلها الاستعمار ، ويسند ظهرها ، حتى لا يلتقي المسلمون على كلمة سواء ، وحتى لا يزالون ينشغلون بتوافه الخلافات الفروعية عن كبريات القضايا والمخاطر .

والوهابية في أصلها تعتبر كل تقدم حضاري بدعة ، وكل انتهاض عمراني أو ثقافي ضلالة ، وكل ابتكار أو اختراع أو تجديد رجس من عمل الشيطان ، وكل تخلص من جمود البدو وتخلفهم وعمايتهم تخلص من دين الله .

ومن هنا حرص الاستعمار كل الحرص على خدمة هذه الدعوة ونشرها، ليظل الركب الإسلامي باسم الدين، متفرقاً متنافراً، متخلفاً عن ركب الحياة.

والوهابية هي الوهابية، سواء سموها: سلفية أو سنية أو غير ذلك، فلن تلبس النعل في الرأس وإن سموها قلنسوة.

رابعاً: ليس هذا هو حكمي بدافع العاطفة كما قد يقال، ولكن أي باحث متجرد، يتتبع تطبيق الأحكام الوهابية وتاريخها، وينفذ إلى أسرارها وحكمتها، لا يملك إلا القول بذلك، على الأقل، اضطراراً، ورضوخاً للأمر الواقع والحقيقة المحسوسة، وبين أيدينا، مع كتابات العرب والمسلمين، كتابات المستشرقين والأجانب، وقد كان لبعضهم مثل «عبد الله فيليبي» أكبر ضلع في تنفيذ السياسة الإنجليزية، بطرد الهاشميين، وتمكين السعوديين من أرض الحجاز، وفي مذكراته عن الوهابية والسعودية - وهو حبيبه ومشيرهم - ما هو أكثر من العجب العجيب.

وإني لأرجو أن أعود إلى الكتابة عن الوهابية بشيء من التفصيل، حتى لا يغتر بها أولئك الذين قرءوا عنها الكتب المصنوعة، من سائل الدراهم والدنانير، أو التعريفات التي وضعت لطلبة المدارس في ظلال الإدارة، وتحكم السياسة العامة، أو في ظلال طلب التقارب والوحدة، والعفو عن العيوب والمثالب.

لكنَّ الدين شيء والسياسة شيء آخر ، وحق الدين في أعناقنا أمام الله ، لا تشفع لنا فيه السياسة ، ورجل مثلي ليس له في الدنيا مطمع ، فهو يسجل ما يعتقد أنه يرضي الله ، وما لا يكون بغيره ثقة ولا نجاة .

ولقد كنت شخصيًا ممن حاول بعضهم إغراءه بالسير في هذا الركب ، وبذل لي في ذلك ما لعلِّي كنتُ في أشد الحاجة إلى بعضه ، مما سال عليه لُعبٌ كثير من حملة ألقاب العلماء ، بل ما كان بعضهم ربما بذل في سبيله ماء الوجه ، وكرامة العالم ، يوم أن كانت تخصص الطائرات لحمل كبار الحجاج من عبيد الوهابية ، ليعودوا محملين ببدرات الذهب ، ومزودين بالسراي والزُّجُرْد ، ومشيعين بنفائس المشالِح والساعات والجواهر ، يسبحون بحمد الوهابية قبل حمد الله .

ولو سرتُ في هذا الركب ، كما سار غيري ، لكانت لي اليوم عمارات وسيارات وجوار وزوجات ، ثم لطبعت كتيبي ، وتقدم اسمي ، ورفع ذكرى درجات .

ورجل مثلي لو طلب الدنيا اليوم فضلاً عن الأُمس ، لجاءته صاغرة ، ليس هو الرجل الذي تطويه العاطفة ، أو تغلبه زخارف الفانية عن الباقية بحمد الله .

### الوهابية والاستعمار:

تبين لك كيف أنَّ الاستعمار هو الذي خدم الوهابية ، وحماها ، وهو الذي أيدها ، ومهد لها ، ومكَّن لدولتها ، ولا زال هو اليوم من خلفها ، يحركها كخيال الظل فتتحرك كيفما شاء ، ولكن بلا فقه ولا حياء .

كان الفقه الإسلامي يعتبر أن أرض العرب حرام على غير المسلم ، إلحاقاً لهذه الأرض بحكم الله في المسجد الحرام ومكة المكرمة ، فالجزيرة كلها ربض للبيت العتيق ، وهي حرم محرم من أجله ، ولم يكن يخطر ببال مسلم أنه سيأتي يوم من الأيام يسمح فيه حاكم مسلم - ولو كان وهابياً - لدولة غير مسلمة ، بأن تستغل بعض أرض الجزيرة فضلاً عن أن تحتلها احتلالاً اقتصادياً تجارياً ، رغبةً واختياراً ، ونحن نعلم أن الاحتلال الجديد ، الذي حل محل الاحتلال العسكري ، فادئ وظيفته وعاد بأضعاف فائده ، ولم يكلف المحتل قوى بشرية ، ولا أموالاً إضافية ، إنما هو الاحتلال الاقتصادي ، الذي يتعامل على أساسه «الكومنولث» الإنجليزي ، والمجموعة الفرنسية ، والأمريكان وغيرهم ، فيخضع البلد كلها لسلطانه .

فإن هذا الاحتلال الجديد : يمكن للدولة ذات رأس المال والخبرة من السيطرة المطلقة على الدولة ، التي تستغل مواردها ، مع التحكم العملي في تسيير دفة سياستها الداخلية ، ثم الخارجية بالتبعية ، حتى تصبح الدولة المستغلة كمسرح العرائس ، تتحرك ولكن لتؤدي الوظائف التي تحددها لها الأصابع التي تحركها من خلف الستار .

وهكذا لأول مرة في التاريخ ، أقنعت إنجلترا الحكومة السعودية المسلمة ، التي تحكم بما أنزل الله ؛ فتقيم الحدود ، ولكن ليس إلا على الأشراف من بني هاشم والعييد والأرقاء ، والأغراب عن أرض نجد والرياض ، الحكومة المسلمة التي تستبقي تنفيذ الأحكام والحدود حتى يجتمع المسلمون في موسم الحج ، لتكون الدعاية أعم وأشمل ، ولو غضب الله ورسوله والإسلام السليم .

هذه الحكومة الشرعية : اقتنعت بتمليك الأمريكان أطراف الجزيرة ؛ ليجمعوا بين المواقع الاستراتيجية ، وموجات استغلال البترول ، وسمحت بتوطين الآلاف منهم في أرض العرب البكر ، وسمحت لهم بإقامة المدائن الإفرنجية ، بما فيها من الحمامات والبارات والملاهي ، وسمحت لهم بممارسة عاداتهم وعباداتهم ، والتصرف على مشيئاتهم في هذه المستعمرات «الأمريهابية» الجديدة .

وبدأ النفوذ الأمريكي يتسرب إلى أرض الجزيرة ، ومعه الحضارة الأمريكية والتقاليد الأمريكية ، والأفكار الأمريكية ، والبضائع الأمريكية ، والسيارات الأمريكية ، والسياسة الأمريكية ، أي الاحتلال الأمريكي الفعلي بكل معانيه .

وأخذت أمريكا وضعها كعامل أساسي في الحياة الوهابية السعودية ، سيدة تأمر فتطأ ، وتشير فتطأطأ لها الرؤوس بما عليها من كوافي الحرير ، وعقالات الذهب ، ولكنها تركت لأولئك الناس الادعاء بأنهم أحرار مستقلون .

وكما جاملت إنجلترا أمريكا ، جاملت أمريكا إنجلترا فسمحت لها بتسليح الجيش السعودي وتدريبه وتعيين خبراءه ومستشاريه ، والإشراف العملي عليه .

وهكذا أصبحت أمريكا تتحكم في اقتصاديات المملكة السعودية ، وأصبحت إنجلترا تتحكم في جيشها ، فتقاسمتا الاحتلال بنوعيه : احتلال أرض الجزيرة الغالية أعز الأرض وأقدسها على الإسلام

والمسلمين، أرض بها بيت الله وقبر رسوله ﷺ، وتحت إغراء الدينار والدولار، سكت المسلمون، فيا للفضيحة ويا للعار.

هذه النكبة التاريخية الكبرى تحدث مع شكر الحكومة السعودية وتقديرها للدولتين الصديقتين المحتلتين، ومع غفلة أو تغافل من بقية دول الإسلام.

كل هذا، وفي مكة مؤتمر إسلامي عام مصنوع، لم يكن له من وظيفة إلا التنديد بمصر وبعهداها الحاضر، وما انفتح ذهن رجل واحد من أعضائه ولا قلبه، ليدرك إلى أي مصير فاجع صارت أرض الحرمين وما حولها، ولا أي نهاية أفجع وأشنع تنتظر المسلمين من بعد ذلك.

ثم أي دولتين، هما اللتان مكناهما منا، وأسلمنا إليهما زمامنا؟ هما الدولتان اللتان زرعتا إسرائيل خُرُاجًا في جسم العرب، ولا تزالان تواليانها حتى تقضي على الجسم العربي المتهالك العيان، فيا للمفارقة ويا للعجب.

هذا هو حدث الأحداث في تاريخ الجزيرة والإسلام، ثم ماذا؟ ثم تعقد مؤتمرات قمة للعرب ترتبط فيها الحكومة الوهابية بارتباطات شرف، وعقود ذمة، وتعود فتتنقضها علانية، ولا تكتفي بمعة النقص العلني، حتى تذهب فترمي نهائيًا في أحضان الإنجليز، وتكشف عن وجه التبعية الاستعمارية بلا أدنى خجل من دين ولا تاريخ ولا تقاليد، وتعلن تعاونها مع الإنجليز في تصفية قضية الجنوب العربي، والاشتراك في محنة المخطط الإنجليزي به ضد العروبة والإسلام، وتمويل الصندوق الإنجليزي هناك بملايين الدولارات، والتصدي السافر لسحق نفوذ

الجامعة العربية ، حتى السوق العربية المشتركة ، بكل ما في الوهابية من بهت ، وكل ما في السعودية من اجترأ واندفاع و صلف .

وحديث الوهابية كحديث الهم لا ينتهي ، فلنقف الآن عند هذا الحد ، في هذا الجانب من هذه المحنة ، وإن كانت المناسبة جديرة بذكر شيء عن الاعتداء الوهابي القديم على أرض اليمن واحتلال بعضها للآن ، بعد احتلال الحجاز الوهابي .

وبعد : فإلى الأقلام المستأجرة المتاجرة نسوق هذه الحقائق المملة ، ليعلم الناس ، هل الصوفية شيعية؟ أم الوهابية استعمارية؟ .

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ تُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنْهُمْ﴾

بعض الحياء يا أنصار الفتنة ويا أحلاس المحنة ، ويا أغرار السنة وخصوم الله ورسوله والمسلمين ، هداية يا رب .

\*\*\*



## لكلُّ أجلٍ كتاب<sup>(١)</sup>

كان اليوم الثالث لوفاة ابن أخي ، الفتى المتفتح للحياة ، هو اليوم الأول لوفاة والدتي البارة ، بعد عودتي من التعزية في أخ من أعز إخواني علي في بني سويف ، كل ذلك في أسبوع واحد ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

ففي أصيل يوم الخميس ، الخامس عشر من ربيع الآخر سنة ١٣٨٥ هـ الموافق الثاني عشر من أغسطس ١٩٦٥ م انتقلت والدتنا رحمها الله إلى الرفيق الأعلى راضية مرضية إن شاء الله ، وهي في أوائل العقد السابع من عمرها ، بعد حياة حافلة بألوان شتى من الكفاح ، والإيمان ، والبذل ، والتضحية ، والصبر ، والزهادة ، والغيرة على الدعوة ، ومواصلة العبادة ، والفناء في الله .

وقد كنا ، وكانت الأسرة ، وكان الإخوان ، كان الكل ينشق منها ريح آخر بقية ، من صلب الداعية العارف بالله ، الإمام السيد محمود أبو عليان الشاذلي فهي جدة قبائل نجوع البصيلية ، وهي أم المحمديين في كل مكان ، ومن ثم كان إخواننا من قبائل الصعيد الأقصى إلى شمال السودان ، يتبركون بزيارتها ، وإن كلفهم ذلك ما كلفهم من الجهد المضي والنفقة الباهظة ، كما كان إخواننا من ريف مصر والقاهرة يحافظون على موالاة تحصيل ما تعودوه منها من الحنان البالغ ، والدعاء الجامع ، والنصح الرشيد ، والحكمة العميقة ، وما جربوه من إكرام لهم ببركتها ، وجبر خواطرهم بطهارة أنفاسها ، وهي في معبدها من البيت الكبير ، لا تكاد

(١) غرة جمادى الأولى (١٣٨٥ هـ) ، ٢٨ أغسطس (١٩٦٥ م) ، العدد العاشر - السنة الخامسة عشرة .

تغادره إلا إلى مكان الوضوء ، فلا تكاد العين تقع عليها ، إلا وهي في عبادة : ليلها ونهارها سواء .

ولقد كانت إحدى عجائب الدنيا في حفظ آلاف الحكم والأمثال ، والاستشهاد بها ، ولقد بقيت شهورها السبعة الأخيرة ، وهي تعاني من المرض ، ما ينوء به ذوو القوة والفتوة ، وما فاتتها صلاة ، ولا استيأست من المواجه ، ولا فترت عن ذكر الله ، حتى كان آخر عهدها من الدنيا تكرار تلاوة سور الإخلاص .

كنت أحب أن أكتب شيئاً عن فلسفة الموت ، وما بعد الموت ، غير أن وقتي مزدحم مشحون ، على ضيق في النفس ، وضعف في الصحة ، وما شاء الله كان .

إننا نعتبر الموت بداية للحياة الصحيحة ، ونعتبره أول مدارج الكمال الفعلي للإنسان ، بتخلص الروح من علائق المادية ، وعوائق الكونيات الفانية ، فليس معنى الموت : الفناء والنهاية ، بل معناه البقاء والبداية ، وليس الميت بعيداً عنا ، ولا نحن عنه ببعيد : ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ .

وعالم الروح عالم هائل حي ، عامل ، متحرك ، موصول بنا ، لا ينكره ، إلا الصم البكم العمي الذين لا يفقهون .

إنَّ حقوق الميت لتتأكد بعد موته على الحي ، وإن علاقتنا به لتتزايد وتتسامى ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

فإحساسنا بالآلم اليوم إنما هو إحساس العادة البشرية ليس إلا ، فليس بالهين في العادة أمر الفراق الجسدي ، ولا أمر فقدان المعاني الإنسانية

والربانية ، التي كانت تفيضها رحمها الله على كل من اتصل بها ، أو تتلمذ عليها .

وهذا أخونا المجاهد المعروف الشيخ عبد اللطيف الشعشاعي خطيب مسجد صلاح الدين بالقاهرة ، في كلمته التي ألقاها في ليلة العزاء الكبرى ، يذكرنا بموقفها منه يوم كان يحضر لزيارتي بعد وفاة أبي ، فما لم يجدني كانت تلزمه رضي الله عنها بأن يظل يرتل بجوارها القرآن حتى أحضر ، فإذا عاد استقرأته من الموضع الذي وقف عنده في المرة الماضية ، حتى أتم بين يديها أربع ختمات في عدة زيارات .

ثم يذكرنا بيوم قرأ عليها نشيداً جديداً كنت وضعته للشباب يومئذ أقول فيه :

قُمْ فَبَشِّرْ بِنَا      أَوْ فَأَنْذِرْ حَمَّاكَ  
وَارَوْ فِي حَرْبِنَا      قِصَّةً عَنْ دِمَاكَ !!

قال : فقالت لنا - وكنا جماعة - يا أولادي : هذا الكلام عهد بينكم وبين الله فإياكم أن تكونوا من الكاذبين :

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

لقد تعاقب على تأبينها في ليلة العزاء أكثر من اثني عشر خطيباً وشاعراً من الخيرة ، وأحسنوا بي الظن ، فذكروني بخير ، وأكثروا ، وما إن انتهوا ، حتى قلت : «نُعِيتُ إِلَيَّ نَفْسِي» !! فسيح بحمد ربك واستغفره ، حُسنَ الختام يا رب .

الكلام كثير ، وليس هذا مقامه ، وإنَّ العين لتدمع ، وإنَّ القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي الله تعالى ، وإنا على فراق أمانا لمحزونون .

أسكنها الله فسيح جناته ، وألحقنا بها على الإيمان الكامل ، في لطف  
منه ورحمة ورضوان .

\*\*\*

العدد	اسم المقالة	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
<b>السنة الحادية عشرة</b>			
١	بعض أحكام وتقاليد الموالد	شَعْبَان ١٣٨٠ هـ	يناير ١٩٦١ م
٢	خواطر حول الصيام والزكاة	رَمَضَانَ ١٣٨٠ هـ	فبراير ١٩٦١ م
٣	أمل في الأوقاف والمجلس الإسلامي	شَوَّال ١٣٨٠ هـ	مارس ١٩٦١ م
٤	قوميّات واجتماعيات ودينيات	ذُو الْقَعْدَةِ ١٣٨٠ هـ	أبريل ١٩٦١ م
٥	مسائل متعددة	ذُو الْحِجَّةِ ١٣٨٠ هـ	مايو ١٩٦١ م
٦	السيد الرائد يشكر	مُحَرَّم ١٣٨١ هـ	يونية ١٩٦١ م
٧	قانون تطوير الأزهر	صَفَر ١٣٨١ هـ	يولية ١٩٦١ م
٨	مفرقات مجمّعات	رَبِيعُ الْأَوَّل ١٣٨١ هـ	أغسطس ١٩٦١ م
٩	خواطر خطيرة	رَبِيعُ الثَّانِ ١٣٨١ هـ	سبتمبر ١٩٦١ م
١٠	حول قضية الوسيلة ومشألة القبور	جُمَادَى الْأُولَى ١٣٨١ هـ	أكتوبر ١٩٦١ م
١١	بعض نشاط العشرة في عام	جُمَادَى الثَّانِي ١٣٨١ هـ	نوفمبر ١٩٦١ م
١٢	رَجِيعُ كَلِمَاتِ الْمُسْلِمِ فِي بَعْضِ الدَّوَائِرِ	رَجَب ١٣٨١ هـ	ديسمبر ١٩٦١ م
<b>السنة الثانية عشرة</b>			
٧ (سنة ١١)	عَوْدٌ إِلَى قِصَّةِ فَضْلِ لَيْلَةِ النِّصْفِ	شَعْبَان ١٣٨١ هـ	يولية ١٩٦١ م
٢	مسامرات رمضان	رَمَضَانَ ١٣٨١ هـ	فبراير ١٩٦٢ م
٣	إجابات إجمالية هامة على أسئلة صوفية عامة	شَوَّال ١٣٨١ هـ	مارس ١٩٦٢ م
٤	هَدِيَّتَانِ إِلَى وَزِيرِ الشُّؤْنِ الدِّينِيَّةِ	ذُو الْقَعْدَةِ ١٣٨١ هـ	أبريل ١٩٦٢ م
٥	التداوي بالقرآن شريعة إسلامية مقررة	ذُو الْحِجَّةِ ١٣٨١ هـ	مايو ١٩٦٢ م
٦	إجابات وفتاوى صوفية	مُحَرَّم ١٣٨٢ هـ	يونية ١٩٦٢ م
٧	حدود حقوق المرأة في الإسلام	صَفَر ١٣٨٢ هـ	يولية ١٩٦٢ م

العدد	اسم المقالة	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
٨	سؤال صوفي تاريخي وجوابه الطرق الصوفية في العالم الإسلامي	ربيع أول ١٣٨٢ هـ	أغسطس ١٩٦٢ م
٩	التعريف بالطريقة المحمدية	ربيع ثان ١٣٨٢ هـ	أغسطس ١٩٦٢ م
١٠	من مفاخر تاريخ الخوانق ومشايخ المشايخ	جمادى أول ١٣٨٢ هـ	سبتمبر ١٩٦٢ م
١١	من نشاط العشرة في عام	جمادى ثان ١٣٨٢ هـ	أكتوبر ١٩٦٢ م
١٢	مشاهد شهرات آل البيت بالقاهرة	رجب ١٣٨٢ هـ	نوفمبر ١٩٦٢ م
<b>السنة الثالثة عشرة</b>			
١	تعليقات خطيرة ، على مسائل مثيرة	شعبان ١٣٨٢ هـ	ديسمبر ١٩٦٢ م
٢	وإذا سألك عبادي عني : فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان	رمضان ١٣٨٢ هـ	يناير ١٩٦٣ م
٣	سقطات الأزهر قنابل وصواريخ لا سقطات	شوال ١٣٨٢ هـ	فبراير ١٩٦٣ م
٤	فتاوى فقهية متعددة	ذو القعدة ١٣٨٢ هـ	مارس ١٩٦٣ م
٥	تعليقات ذات معنى	ذو الحجة ١٣٨٢ هـ	أبريل ١٩٦٣ م
٦	في أمواج بحار التصوف المستنير	محرم ١٣٨٣ هـ	مايو ١٩٦٣ م
٧	حول قضية الاسم الأعظم	صفر ١٣٨٣ هـ	يونية ١٩٦٣ م
٨	يا أخي يا وزير الأوقاف هذه بعض آمال المسلمين فيك ، فماذا أنت فاعل	ربيع أول ١٣٨٣ هـ	يوليو ١٩٦٣ م
٩	أحكام الإنشاد والموالد والخلوة الصوفية	ربيع ثان ١٣٨٣ هـ	أغسطس ١٩٦٣ م
١٠	مُعْجَزَاتُهُ ﷺ حقيقة قطعية الثبوت دفاع عن معجزات رسول الله ﷺ	جمادى أول ١٣٨٣ هـ	سبتمبر ١٩٦٣ م
١١	العشرة بين عامين ما كان لله دَامَ وَاتَّصَلَ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى	جمادى ثان ١٣٨٣ هـ	أكتوبر ١٩٦٣ م

العدد	اسم المقالة	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
١٢	محادثات وفتاوى وإجابات	رَجَبُ ١٣٨٣ هـ	نوفمبر ١٩٦٣ م
<b>السنة الرابعة عشرة</b>			
١	قواعدُ وأصولُ وبياناتُ لا بد منها	شَعْبَانُ ١٣٨٣ هـ	ديسمبر ١٩٦٢ م
٢	فقهٌ وتصوفٌ وتوجيهٌ	رَمَضَانُ ١٣٨٣ هـ	يناير ١٩٦٤ م
٣	أيُّها النَّاسُ هذه هي العشيرةُ المحمديَّةُ	شَوَّالُ ١٣٨٣ هـ	فبراير ١٩٦٤ م
٤	وعصمته ﷺ حقيقة قطعية الثبوت	ذُو الْقَعْدَةِ ١٣٨٣ هـ	مارس ١٩٦٤ م
٥	نعم : عصمته ﷺ حقيقة قطعية الثبوت عودٌ على بدءٍ	ذُو الْحِجَّةِ ١٣٨٣ هـ	أبريل ١٩٦٤ م
٦			
٧	فتنةُ الطَّعْنِ فِي أَبَوِي النَّبِيِّ ﷺ	صَفَرُ ١٣٨٤ هـ	يونية ١٩٦٤ م
٨	أنا، وولدي، والأخلاقُ، والنَّاسُ!!	رَبِيعُ أَوَّلِ ١٣٨٤ هـ	يولية ١٩٦٤ م
٩	كُلِّيمَاتٌ حَوْلَ الْحُسَيْنِ وَجَدَّهِ وَآلِ بَيْتِهِ	رَبِيعُ ثَانِ ١٣٨٤ هـ	أغسطس ١٩٦٤ م
١٠	بعضُ نشاطِ العشيرة في عام	جُمَادَى الْأُولَى ١٣٨٤ هـ	سبتمبر ١٩٦٤ م
١١	التَّوَسُّلُ وَالْوَسَاطَةُ، وَالتَّصَرُّيفُ وَالْمَدَدُ	جُمَادَى الثَّانِي ١٣٨٤ هـ	أكتوبر ١٩٦٤ م
١٢	أمنيةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ وأمنيةٌ لأمَّتِهِ	رَجَبُ ١٣٨٤ هـ	نوفمبر ١٩٦٤ م
<b>السنة الخامسة عشرة</b>			
١	مسائلُ وإجاباتُ	شَعْبَانُ ١٣٨٤ هـ	ديسمبر ١٩٦٤ م
٢	حَوْلَ مَعَالِمِ الْقُرْآنِ	رَمَضَانُ ١٣٨٤ هـ	يناير ١٩٦٥ م
٣	لحظةٌ مع أبي العتاهية	شَوَّالُ ١٣٨٤ هـ	فبراير ١٩٦٥ م
٤	خمسُ إجاباتٍ على خمسة أسئلةٍ تصوفٍ وتفسيرٍ	ذُو الْقَعْدَةِ ١٣٨٤ هـ	مارس ١٩٦٥ م
٥	اشتراكية متدينة غير ملحدة	ذُو الْحِجَّةِ ١٣٨٤ هـ	أبريل ١٩٦٥ م

العدد	اسم المقالة	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
٦	أخطر دعوة تناهض القرآن والميثاق	مُحَرَّرٌ ١٣٨٥ هـ	مايو ١٩٦٥ م
٧	مع البدويّ المفترى عليه	صَفَرٌ ١٣٨٥ هـ	يونية ١٩٦٥ م
٨	كُلَيْمَاتُ مَكَمَّلَاتٍ لموضوع الأقطاب	رَبِيعُ أَوَّلٍ ١٣٨٥ هـ	يونيه ١٩٦٥ م
٩	حَدَّثُ الْأَحْدَاثِ فِي تَارِيخِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ	رَبِيعُ ثَانٍ ١٣٨٥ هـ	يولية ١٩٦٥ م
١٠	لكلِّ أَجَلٍ كتاب	جُمَادَى أَوَّلُ ١٣٨٥ هـ	أغسطس ١٩٦٥ م
١١	الإرهابيون ، والربّانيون بين الروحية الإنسانية ، والإرهابية الوهابية	جُمَادَى ثَانٍ ١٣٨٥ هـ	سبتمبر ١٩٦٥ م
١٢	قراراتٌ هامةٌ للغاية	رَجَبٌ ١٣٨٥ هـ	أكتوبر ١٩٦٥ م
<b>السنة السادسة عشرة</b>			
١	هذا هو رأي «روز اليوسف» في العشيرة المحمدية	شَعْبَان ١٣٨٥ هـ	نوفمبر ١٩٦٥ م
٢	مع أحبابنا في الله أسئلة ، وإجابات ، وخواطر	رَمَضَان ١٣٨٥ هـ	ديسمبر ١٩٦٥ م
٣	أيضاً مع أحبابنا في الله إجابات ، ولفئات	شَوَّال ١٣٨٥ هـ	يناير ١٩٦٦ م
٤	مجلة العربي الكويتية والتصوف	ذُو الْقَعْدَةِ ١٣٨٥ هـ	فبراير ١٩٦٦ م
٥	ثُمَّ «العربي» أيضاً و «البخاري»	ذُو الْحِجَّةِ ١٣٨٥ هـ	مارس ١٩٦٦ م
٦	عام جديد ومسئوليات جديدة	مُحَرَّرٌ ١٣٨٦ هـ	إبريل ١٩٦٦ م
٧	كُلَيْمَاتُ مَجْمَلَةٍ للتعريف بالبيت المحمديّ	صَفَرٌ ١٣٨٦ هـ	مايو ١٩٦٦ م
٨	دفاعٌ عن سيدنا رسول الله ﷺ	رَبِيعُ أَوَّلٍ ١٣٨٦ هـ	يونية ١٩٦٦ م
٩	أزمَةُ أَخْلَاقٍ	رَبِيعُ ثَانٍ ١٣٨٦ هـ	يولية ١٩٦٦ م
١٠	رجاءٌ خطيرٌ في الله إلى مؤتمرِ علماء المسلمين القاهرة	جُمَادَى أَوَّلُ ١٣٨٦ هـ	أغسطس ١٩٦٦ م
١١	مِنْ آمَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي وَزِيرِ الْأَوْقَافِ وَشَيْخِ الْأَزْهَرِ وَجَامِعَتِهِ	جُمَادَى ثَانٍ ١٣٨٦ هـ	سبتمبر ١٩٦٦ م



العدد	اسم المقالة	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
١٢	نفحاتٌ ولفحاتٌ بمناسباتِ تصوفٍ ، وحديثٌ ، وفقهٌ ، ولغةٌ	رَجَبُ ١٣٨٦ هـ	أكتوبر ١٩٦٦ م
<b>السنة السابعة عشرة</b>			
١	أيضاً نفحاتٌ ولفحاتٌ وإجاباتٌ على مكاتباتٍ ومشافهاتٍ	شَعْبَانُ ١٣٨٦ هـ	نوفمبر ١٩٦٦ م
٢	شكراً شكراً ، وعذراً عذراً !!	رَمَضَانُ ١٣٨٦ هـ	ديسمبر ١٩٦٦ م
٣	على شاطئ المحيط الصوفي	شَوَّالُ ١٣٨٦ هـ	يناير ١٩٦٧ م
العددان ٤ ، ٥	دورُ التصوفِ الإسلاميِّ في الحياة	رُجُلَيْجَةُ ١٣٨٦ هـ	مارس ١٩٦٧ م
	مع العام الجديد	مُحَرَّمُ ١٣٨٧ هـ	أبريل ١٩٦٧ م
٦			
٧			
٨			
التاسع	إلى الله أيها الرجال !!	رَبِيعُ ثَانٍ ١٣٨٧ هـ	يولية ١٩٦٧ م
العاشر	لحظاتٌ معَ أقطابِ الجهادِ الأكبر !!	جُمَادَى الْأُولَى ١٣٨٧ هـ	أغسطس ١٩٦٧ م
الحادي عشر	مع بعض الظروف الحاضرة خواطر وشروح	جُمَادَى الثَّانِي ١٣٨٧ هـ	سبتمبر ١٩٦٧ م
الثاني عشر	معَ الإمامين : البدويِّ والدُّسوقيِّ ثُمَّ تصحیحاتٌ وبحوثٌ في الله	رَجَبُ ١٣٨٧ هـ	أكتوبر ١٩٦٧ م
<b>السنة الثامنة عشرة</b>			
١	كَلِمَتَانِ هَامَتَانِ يَضْفُ شَعْبَانُ ، وَالْمَهْدِيُّ الْمُنْتَظَرُ	شَعْبَانُ ١٣٨٧ هـ	نوفمبر ١٩٦٧ م
٢	أُمّهاتُ الصَّلواتِ النَّافِلَةِ أو التَّوَابِلُ العَشْرُ	رَمَضَانُ ١٣٨٧ هـ	ديسمبر ١٩٦٧ م

٣	تحية للجمعية الشرعية في عهدها المبارك الجديد	ذو القعدة ١٣٨٧ هـ	يناير ١٩٦٨ م
<b>العدد</b>	<b>اسم المقالة</b>	<b>التاريخ الهجري</b>	<b>التاريخ الميلادي</b>
٤	وقفه للتأسي : مع الإمام الشاعر	ذو الحجة ١٣٨٧ هـ	فبراير ١٩٦٨ م
٥			
السادس	من مكاتبات الإخوة والأحباب وموضوعات	محرم ١٣٨٨ هـ	مارس ١٩٦٨ م
٧			
الثامن	يا جد كل تقى : الصلاة والسلام عليك	ربيع أول ١٣٨٨ هـ	مايو ١٩٦٨ م
	إلى الأخ السيد نائب وزير الأوقاف الهيئات الإسلامية	جمادى أول ١٣٨٨ هـ	يولية ١٩٦٨ م
٩			
١٠			
١١			
الثاني عشر	مهزلة مجمع الأولياء!! ولكي أزار ولا أزر	رجب ١٣٨٨ هـ	سبتمبر ١٩٦٨ م
	<b>السنة التاسعة عشرة</b>		
١	بين أبنائي وأحبائي في الله	شعبان ١٣٨٨ هـ	أكتوبر ١٩٦٨ م
٢	أسماء وخواطري في الله مع أبنائي وأحبائي	رمضان ١٣٨٨ هـ	نوفمبر ١٩٦٨ م
٣	مع إذاعة القرآن ، ثم مع الصوفية	شوال ١٣٨٨ هـ	ديسمبر ١٩٦٨ م
٤	إفادات وأنطباعات في الله	ذو القعدة ١٣٨٨ هـ	يناير ١٩٦٩ م
٥	مع التاريخ الهجري ، والتواريخ الأخرى	محرم ١٣٨٩ هـ	مارس ١٩٦٩ م
٦	لماذا يتعبد الصوفيون بهذه الشور؟	صفر ١٣٨٩ هـ	أبريل ١٩٦٩ م

٧		ربيع ثلث ١٣٨٩ هـ	يونية ١٩٦٩ م
٨	حَوْلَ مَسَائِلَ لَهَا قِيَمَتُهَا فِي الْعِلْمِ وَالْدِّينِ	جمادى الأولى ١٣٨٩ هـ	يولية ١٩٦٩ م
<b>العدد</b>	<b>اسم المقالة</b>	<b>التاريخ الهجري</b>	<b>التاريخ الميلادي</b>
٩			
١٠			
الحادي عشر	خَاطِرَةٌ حَوْلَ الْحَادِثِ الْكَوْنِيِّ وَشِعْرُ صُوفِيٍّ	جمادى ثلث ١٣٨٩ هـ	أغسطس ١٩٦٩ م
الثاني عشر	معنى : (نظرة ومدد) في مجال البحث العلمي والديني	رجب ١٣٨٩ هـ	سبتمبر ١٩٦٩ م
<b>السنة العشرون</b>			
١	مَعَ مُؤْتَمَرِ الْقِمَّةِ الْإِسْلَامِيِّ	شعبان ١٣٨٩ هـ	أكتوبر ١٩٦٩ م
٢	رَمَضَانُ وَمَسْأَلَةُ زِيَارَةِ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ	رمضان ١٣٨٩ هـ	نوفمبر ١٩٦٩ م
٣	مَعَ الْمُقَاتِلِينَ عَلَى خَطِّ النَّارِ	ذو القعدة ١٣٨٩ هـ	يناير ١٩٧٠ م
٤			
الخامس	خَاطِرَةٌ بَيْنَ التَّصَوُّفِ وَالتَّمَصُّوفِ !!	ذو الحجة ١٣٨٩ هـ	فبراير ١٩٧٠ م
٦	فِي مُسْتَهْلِ الْعَامِ الْجَدِيدِ	محرم ١٣٩٠ هـ	مارس ١٩٧٠ م
٧	قِصَّةُ الْحَضَرِ وَالصُّوفِيَّةِ فِي مِيزَانِ الْفَقْهِ الْعِلْمِيِّ	صفر ١٣٩٠ هـ	أبريل ١٩٧٠ م
٨	مِنْ ضَرَاةِ بَقِيَّةِ الْعُمَرِ	ربيع ثلث ١٣٩٠ هـ	يونية ١٩٧٠ م
٩	مَعَ قَضِيَّةِ الْقَبَابِ وَالْقُبُورِ وَالْمَسَاجِدِ	جمادى الأولى ١٣٩٠ هـ	يولية ١٩٧٠ م
١٠	مَعَ قَضِيَّةِ الْأَقْطَابِ الْأَرْبَعَةِ وَمَرَاتِبِ أَهْلِ الْغَيْبِ	جمادى ثلث ١٣٩٠ هـ	أغسطس ١٩٧٠ م
١١	حُكْمُ تَقْيِيلِ الْأَيْدِي وَغَيْرِهَا فِي شَرْعِ اللَّهِ	رجب ١٣٩٠ هـ	سبتمبر ١٩٧٠ م
١٢			